متواترُ القراءات
من «افتعل» الصرفية

(دراسةٌ في تنوُّع أسرارها الدلالية)

إعداد

د. محمد مسعود عُلْواني

المدرس بقسم القراءات وعلومها

بكلية القرآن الكريم بطنطا

١٤٤١هـ = ٢٠١٩م

ملخص البحث

د.محمد مسعود عُلْواني: مدرس بقسم القراءات وعلومها بكلية القرآن الكريم بطنطا

الإيميل : MohamadOlwany٢٤٦٨.el@azhar.edu.eg

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا رسول الله ﷺ، وعلىٰ آله وصحبه ومَن والاه، وبعد.

فلا شك أن علم "توجيه القراءات القرآنية" من أجلّ العلوم قدراً؛ لارتباطه بالقراءات القرآنية، وتعلّقه بعلوم التفسير واللغة بفروعها المتعددة، إضافة إلىٰ كونه يُبين جانبًا من جوانب إعجاز القرآن الكريم وقراءاته، ويُفصِحُ عن سرٍّ من أسرار بيانه.

ومع الإنتاج الوفير الذي أنتجته قرائحُ علماء توجيه القراءات علىٰ مرّ العصور، فلا يزال عطاءُ القراءات القرآنية غزيراً وفيراً، ولا زالت مِنَحُها مستمرةً، وهداياها متواصلةً، ولن ينقطع هذا العطاء - إن شاء الله - عن كل ناظرٍ باحثٍ متمَعِّنٍ في كتاب رب العالمين.

ولما كان علم توجيه القراءات بهذه المنزلة، استعنتُ بالله تعالىٰ؛ لخوض غمار البحث في دقائق وأسرار القراءات وعلاقاتها، وكان من الأسباب التي دعت إلىٰ الكتابة في هذا الموضوع:

- محاولة إبراز الأسرار والعلاقات بين القراءات القرآنية -محل البحث- ، وكذلك التأصيل والربط بين معاني الصيغ التي ذكرها اللغويون، والمعاني التي ذكرها علماء التفسير وتوجيه القراءات، مع التركيز علىٰ استنباط بعض المعاني والإشارات من القراءات المتعددة في إطار القوالب الصيغية التي استقرّ عليها العلماء.

وقد اقتضت طبيعةُ هذا البحث أن يتكوّن من مقدِّمة وتمهيد، وفصلين، وخاتمة.

المقدمة: تناولت أهمية الموضوع، وأسباب الكتابة فيه، وهدف البحث وخطته ومنهجه، وإجراءات معالجة هذا الموضوع.

وأما التمهيد: فجعلته لتعليل وأهمية البحث عن المعاني والأسرار بين القراءات المتنوعة، وبيان أن تنوُّع القراءات بابٌ من أبواب الإعجاز.

وجاء الفصل الأول بعنوان: «أسرار التبادل بين صيغتيْ فَعِلَ [بكسر العين] وافْتَعَلَ في القراءات المتواترة» ، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التبادل الصِّيغي بين قراءتيْ: «لا يَتَّبعوكم – لا يَتْبعوكم»، وكذا بين قراءتيْ «يَتَّبعُهمُ الغاوون- يَتْبعُهمُ الغاوون».

المبحث الثاني: التبادل الصِّيغي بين قراءتيْ: «لاتّخذتَ – لَتَخِذتَ».

المبحث الثالث: التبادل الصِّيغي بين قراءتيْ: «فتخْطَفُه – فتخَطَّفُه».

وأما الفصل الثاني فَعَنْوَنتُ له بـ: «أسرار التبادل بين صيغتيْ فَعَلَ [بفتح العين] وافْتَعَلَ في القراءات المتواترة»، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التبادل الصِّيغي بين قراءتيْ: «تعْدوا – تعْدُّوا».

المبحث الثاني: التبادل الصِّيغي بين قراءتيْ: «أمّن لا يَهِدِّي- أمّن لا يَهْدِي».

المبحث الثالث: التبادل الصِّيغي بين قراءتيْ: «يَخِصِّمون- يَخْصِمون».

المبحث الرابع: التبادل الصِّيغي بين قراءتيْ: «تَدَّعون- تَدْعُون».

ثم الخاتمة، وفيها أهم النتائج التي تمخّض عنها البحث، وكشاف للمصادر، وآخر للموضوعات.

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

ملخص البحث (بالإنجليزية)

Email: MohamadOlwany٢٤٦٨.el@azhar.edu.eg

All thanks and praise be to God, and the peace and blessings of Allah upon our Prophet, his Household, his Companions and those who follow his footsteps; having said that:

There is no doubt that the science of "directing Qur'anic readings" for the sake of science is a measure, because it is related to Qur'anic readings, its relation to language sciences, interpretation, grammar, and rhetoric, and that it shows an aspect of the miracle of the Holy Quran and its readings, and discloses a secret of its manifestation.

Despite the abundant production produced by the slides of scholars who direct readings throughout the ages, the Qur'anic readings are still abundant, and its grants and gifts are still continuous, and this gift - God willing - will not be interrupted by every careful researcher in the Book of the Lord of the Worlds

As the science of directing the readings was in this status, I sought the help of God Almighty to navigate the search in minutes and secrets of the readings and their relationships, and one of the reasons that led to writing in this topic -: Attempting to highlight the secrets and relationships between the Qur'anic readings - the subject of research - as well as rooting and linking the meanings of formulas mentioned by linguists, and the meanings mentioned by the mentors and interpreters, with an emphasis on eliciting some meanings and references from multiple readings within the framework of the formulas that scholars have settled on.The nature of this research required that it consist of an introduction and a preamble, two chapters and a conclusion.

As for the introduction: I talked about it about the importance of the topic, the reasons for writing about it, the goal of the research, its plan and methodology, and the procedures that I took in addressing this topic.

As for the introduction: I made it to explain and the importance of searching for meanings and secrets among the various readings, and to show that the diversity of readings is a section of miracles.The first chapter came under the title: “Secrets of the exchange between the two formulas, so do [break the eye] and do it in recurring readings.” It contains three topics:

The first topic: The formal exchange between my reading: “They do not follow you - they do not follow you.” As well as between my reading, “The Gao follows them - the Gao follows them”.

The second topic: The formal exchange between my reading: "You have not taken - you have taken".The third topic: the formal exchange between my reading: "You kidnap it - you kidnap it".

As for the second chapter, I entitled to him: “Secrets of the exchange between two formulas, and he did [opening the eye] and he was fabricated in frequent readings.” It contains four topics:

The first topic: The formal exchange between my reading: "Go ahead - go beyond ".The second topic: The formal exchange between my reading: "Security does not guide me - Security does not guide me".

The third topic: the formal exchange between my reading: "discount - discount".The fourth topic: The formal exchange between my reading: "You claim - you claim".Then the conclusion, and the most important results of this research. Then I was researched with the most important necessary findings, which are: A- Index of sources and references. B- Find out the topics.May God bless our master Muhammad, his family, and all his companions.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا رسول الله ﷺ، وعلىٰ آله وصحبه ومَن والاه.

وبعد،،،

فإذا كانت العلوم تفْضُلُ وتشرُفُ بحسب قُرْبِها أو بُعْدِها من أشرف الكتب: القرآن الكريم، فلا شك أن علم "توجيه القراءات القرآنية" من أجلّ العلوم قدراً، وأغلاها مهراً، وأعلاها منزلةً وذكراً، وما ذلك إلا لتعلُّقه وارتباطه بالقراءات القرآنية : وَحْيِ الله النازلِ من السماء؛ فهو علمٌ يبيّن وجوهَ القراءة، ويُوقِفُ الناسَ علىٰ جانب من جوانب إعجاز القرآن الكريم، وسرٍّ من أسرار بيانه، ويجعل بينهم وبين القراء وورثة الأنبياء نسبًا، فضلاً عن ما بينه وبين التفسير وعلوم اللغة: النحو والبلاغة وغيرها من وَشِيجَةٍ ورَحِمٍ.

ومع الإنتاج الوفير الذي أنتجته قرائحُ علماء توجيه القراءات علىٰ مرّ العصور، فلا يزال عطاءُ القراءات القرآنية غزيراً وفيراً، ولا زالت مِنَحُها مستمرةً، وهداياها متواصلةً، ولن ينقطع هذا العطاء – إن شاء الله – عن كل ناظرٍ باحثٍ متمَعِّنٍ في كتاب رب العالمين.

ولما كان علمُ توجيه القراءات بهذه المنزلة، استعنتُ بالله تعالىٰ؛ لخوض غمار البحث في دقائقَ وأسرارِ القراءات وعلاقاتها، وخاصة القراءات التي جاء التنوّع فيها نتيجة الاختلاف في الصيغة الصرفية، ولكنني وجدتُّ أنّ باب الصِّيَغ التي يجب أن تُتَنَاول بالدراسة في مجال التوجيه كبيرٌ، والقراءاتُ التي تدخل تحته كثيرة؛ لذا رأيتُ أن أقتصر في هذه الصفحات

علىٰ بعض الصيغ. وبعد الاستخارة والاستشارة هداني الله تعالىٰ إلىٰ الكتابة في أسرار التنوّع القِرائيّ بين صيغتي: (فَعَلَ) بفتح العين وكسرها، وصيغة (افتعل)، فكان هذا البحث بعنوانٍ:

متواترُ القراءات من (افتعل) الصرفية
«دراسةٌ في تنوّع أسرارها الدلالية»

وكان من الأسباب التي دعتني إلىٰ الكتابة في هذا الموضوع- إضافة إلىٰ ما تقدم- ما يأتي:

١ – قناعتي أن بين وجوه القراءات القرآنية علاقات كثيرة، وتحمل في ثناياها فوائدَ عظيمةً، وأسراراً جليلة.

٢ – محاولة إبراز الأسرار والعلاقات بين القراءات القرآنية الواردة في هذا البحث.

٣ – جِدَّةُ الموضوع، فبحسَب علمي لم أعثر علىٰ مَن جَمَع هذه المادة في كتاب مستقل، وإن كان كثيرٌ منها متناثراً في بطون الكتب.

٤ – إرادةُ التأصيل –من خلال القراءات الواردة في هذا البحث– بين معاني الصيغ التي ذكرها اللغويون، والربط بينها وبين المعاني التي ذكرها المفسرون وعلماءُ توجيه القراءات.

٥- محاولة استنباط بعض المعاني والإشارات من القراءات المتعددة في إطار القوالب الصِّيغِيّةِ التي استقرّ عليها العلماء.

منهج البحث

اعتمدتُّ في هذا البحث علىٰ:

١- المنهج الاستقرائيَّ، حيث تتبعتُ جُلَّ أو أغلبَ ما كَتَبَ أهل اللغة والتفسير والتوجيه حول القراءات محل الدراسة.

٢- المنهج التحليلي، حيث قمت بتحليل النصوص التي اطلعتُ عليها في أثناء جمع المادة العلمية للكلمات والمفردات محل الدراسة، محاولا استنباطَ الأسرارِ والعلاقاتِ بين القراءات منها.

هدف البحث

يهدف البحث إلىٰ إبراز الأسرار، وتلمُّس العَلاقات بين القراءات القرآنية الواردة في نطاق الصيغتين محل الدراسة، في محاولة للتأكيد علىٰ وجود تلك الأسرار والعلاقات، وأنها بداية لدراسة صيغ أخرىٰ.

خطة البحث

اقتضت طبيعة هذا العمل أن يتكوّن من مقدِّمة وتمهيد، وفصلين، وخاتمة.

فأما المقدمة: فتحدّثتُ فيها عن أهمية الموضوع، وأسباب الكتابة فيه، وهدف البحث ومنهجه، وخطته، والإجراءات التي سلكتها في معالجة هذا الموضوع.

وأما التمهيد: فجعلته لتعليل وأهمية البحث عن المعاني والأسرار بين القراءات المتنوعة.

والفصل الأول عنْوَنتُ له بـ: «أسرار التبادل بين صيغتيْ فَعِلَ [بكسر العين] **وافْتَعَلَ في القراءات المتواترة»**، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التبادل الصِّيغي بين قراءتيْ: «لا يَتَّبعوكم – لا يَتْبعوكم»، وكذا بين قراءتيْ «يَتَّبعُهمُ الغاوون- يَتْبعُهمُ الغاوون».

المبحث الثاني: التبادل الصِّيغي بين قراءتيْ: «لاتّخذتَ – لَتَخِذتَ».

المبحث الثالث: التبادل الصِّيغي بين قراءتيْ: «فتخْطَفُه – فتخَطَّفُه».

وأما الفصل الثاني فَعَنْوَنتُ له بـ: «أسرار التبادل بين صيغتيْ فَعَلَ [بفتح العين] **وافْتَعَلَ في القراءات المتواترة»**، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التبادل الصِّيغي بين قراءتيْ: «تعْدُوا – تعدُّوا».

المبحث الثاني: التبادل الصِّيغي بين قراءتيْ: «أمّن لا يَهِدِّي- أمّن لا يَهْدِي».

المبحث الثالث: التبادل الصِّيغي بين قراءتيْ: «يَخِصِّمون- يَخْصِمون».

المبحث الرابع: التبادل الصِّيغي بين قراءتيْ: «تَدَّعون- تَدْعون».

ثم الخاتمة، وفيها أهم النتائج التي تمخّض عنها هذا البحث، وكشّاف للمصادر، وآخر للموضوعات.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

إجراءاتي في عرض الموضوع :

سِرْتُ في عرض ومناقشة هذا الموضوع علىٰ خطوات محدّدة تتلخّص معالمها في النقاط الآتية:

١ - التزمتُ كتابة الآيات القرآنية– محل الدراسة- بالرسم العثمانيّ وفق رواية حفص، وعزوتها إلىٰ سورها، ووضعتها بين قوسين هلاليين، وأرقامها بجانبها بين معكوفتين.

٢ - ضبطتُ بالشكل الألفاظ التي قد تلتبس علىٰ القارئ.

٣ - وثّقتُ جميع القراءات والنُّقول التي ذكرتها من مظانها.

٤ - قمتُ بتحليل اللفظة القِرائية لغويًا، مستشهداً بكلام اللغويين.

٥ - لمّا كان البحثُ في حاجة للتحليل الصوتي للحروف؛ حيث ينتج عن ذلك بعض المعاني- وإن كان ليس بشكل مطّرد- ذكرتُ المعاني الصوتية لحروف أصول الألفاظ القِرائية محل البحث، عَقِب ذكري كلامَ علماء التوجيه.

٦ - حاولتُ تلمُّس معنىٰ دلاليّ أو صوتيّ زائد غير ما ذُكر في كتب السابقين.

٧- حاولتُ تلمُّس واستنباط العلاقة بين القراءتين، مستعينـًا في ذلك – بعد الله تعالىٰ وتوفيقه- بإشارات اللغويين والمفسرين.

٨ - أثبتُّ علامات الترقيم وفق القواعد التي قرّرها علماء هذا الشأن .

٩ - بيَّنتُ في الحاشية المراد من بعض الكلمات والجُمَل الغامضة التي ترِدُ في النقل عن بعض العلماء، وعلَّقت علىٰ ما يستوجب التعليق.

١٠ - التزمتُ ذكرَ اسم المصدر دون مؤلِّفه، إلا عند التشابه[١]، فأذكرُ المصدر مشفوعـًا بصاحبه؛ للتمييز.

١١ - أخَّرتُ ذِكْرَ بيانات الكتب والمصادر التي رجعت إليها إلىٰ كشاف المصادر العلمية؛ تلاشيـًا لإثقال الحواشي.

الدراسات السابقة:

التطابقُ التام بين فكرة ومضمون واسم هذا البحث لم أجده عند أحدٍ ممن سبقني، لكنني بالبحث تبيّن لي وجود عددٍ من الأبحاث والكتب التي قد تتقارب معه، وهي:

١ - القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية، أ.د. فضل حسن عباس.

٢- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، د. أحمد سعد محمد.

٣ - البلاغة القرآنية في القراءات الشاذة عند ابن جني، لعبد المنعم الأشقر.

٤ - التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، لعبد الله حسين عليوه.

وبعد الاطلاع علىٰ مضامين الأبحاث السابقة اتّضح أن المعالجات كلها فيها جاءت من الناحية البلاغية، أما هذا البحث فلم أتطرق فيه إلىٰ

---

(١) مثل: "جامع البيان" للطبري، والداني، والإيجيّ، و"معاني القرآن" للفراء، والأخفش، ونحو ذلك، فعندئذٍ يجب التمييز.

مباحث علم البلاغة، وإنما جاءت المعالجة من جهة اللغة والتفسير، والمعاني التي تستنبط من خلالهما، وإن كان بعض تلك الأبحاث لم يَخْلُ من نُتَفٍ أفدتُ منها في هذا البحث.

وأكثر ما وجدته متقاربـًا مع بحثي:

١ – رسالة ماجستير بكلية التربية- جامعة طيبة، بالمدينة المنورة بعنوان: "القراءات العشر في سورة البقرة – دراسة بلاغية"، لـ: عائشة بنت هليل الجهني، وقد عبّرت الباحثة عن موضوع رسالتها هذه وهدفها بقولها: "وغايةُ هذه الرسالة تتبّع الاختلافات القِرائية في سورة البقرة في محاولة لفهم الأثر البلاغي المترتب علىٰ كل اختلاف، والكشف -ولو بمقدار يسير- عن بعض أسرار الإعجاز البلاغي الذي تميّز به القرآن الكريم". وهذه الدراسةُ- بما وضح من اسمها- تنصبُّ علىٰ القراءات المتواترة في سورة البقرة فقط، وتوجيه الاختلافات القِرائية الواردة فيها توجيها بلاغيـًا، ومحاولة الكشف عن القيمة البلاغية في كل اختلاف.

٢ – بحث علىٰ ملتقىٰ أهل التفسير علىٰ الشبكة العنكبوتية بعنوان: "الاختلاف في القراءات القرآنية وأثره في اتساع المعاني"، للأستاذ إياد السامرائي، والذي جاء في مقدّمة وثلاثة مباحث[1] أصَّلَ في المبحثين لعدم وجود تناقض بين القراءات المتواترة، وبيّن جهل بعض المستشرقين في هذا الموضوع وهم يصفون الاختلاف في القراءات القرآنية بالاضطراب.

ثم عالج في المبحث الثالث خمسة نماذج من القراءات، دَلّل بها علىٰ أن القراءات سبيلٌ من سُبل تعدد المعاني واتساعها، وأن الإكثار من المعاني

(١) جاء أوّلُهما بعنوان: نشأة القراءات القرآنية والمراحل التي مرّت بها. والثاني: مفهوم الاختلاف في القراءات القرآنية عند العلماء. وأما الثالث، فقد عنْوَنَ له بـ: القراءات والمعنىٰ.

في الآية الواحدة هو مقصد من مقاصد الاختلاف في القراءات القرآنية، وهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنىٰ كلها حق، ويجب الإيمان بها كلها.

والنماذج الخمسة التي ضمّنها الباحثُ بحثَهُ هي:

قوله تعالىٰ: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [البقرة:١٠]، ﴿قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ﴿وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ﴾ [التكوير: ٢٤].

وواضحٌ أن جميع النماذج التى استشهد بها الباحث علىٰ فكرته بعيدة تمامًا عن موضوع هذا البحث، وعن الطريقةِ التي تناولْتُ وعالجْتُ بها نماذجَهُ.

وأما المشروع الذي تعتنى به كليتنا المباركة وهو: "أسرار تنوّع القراءات" فهو أشمل وأعمّ بكثير من بحثي هذا، وإن كانت فكرة بحثي هذا سابقة علىٰ ميلاد هذا المشروع(١)، إضافةً إلىٰ أنه لم يخرج بعدُ إلىٰ النور، وأسأل الله تعالىٰ أن يتمَّ نعمته علينا وعلىٰ الزملاء الكرام المسجّلين فيه بإتمامه وكماله وخروجه في أبهىٰ حلة، وأجمل صورة.

(١) وفكرةُ بحثي هذا هي من اقتراح أستاذي الدكتور عبد الحكم صالح سلامة- حفظه الله - أستاذ أصول اللغة المتفرغ، ومشرفي علي رسالة الدكتوراه - منذ ما يقرب من خمس سنوات. وقد أفدتُّ كثيرا جداً في إنضاجها وإتمامها مما كتبه الأستاذ الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة- رحمه الله رحمة واسعة- في سِفْرِهِ القيّم: دراسات لأسلوب القرآن الكريم.

التمهيد

(تنوُّع القراءات بابٌ من أبواب الإعجاز)

كان نزولُ القرآن علىٰ سبعةِ أحرفٍ بابًا واسعًا من أبواب رحمة الله تعالىٰ أمة حبيبه ﷺ، وتيسيراً منه ﷻ علىٰ عباده في قراءتهم لكتابه المجيد، ولا يخفىٰ علىٰ المتخصصين في مجال القرآن وعلومه الاختلافُ الكبيرُ في بيان معنىٰ السبعة أحرف والمراد منها، والذي سُوِّدتْ فيه مئات الصفحات[1]، فقد ذكر العلماء حتىٰ القرن العاشر الهجريّ ما يزيد عن أربعين قولاً[2] في المراد بالسبعة في حديث النبيّ ﷺ، ثم زاد العدد بعد ذلك بما أضافه أساتذتُنا وعلماؤنا المُحْدَثون[3].

ولعل مِن أشهر ما قيل في تفسير هذا الحديث ما ذهب إليه الأئمة: ابنُ قتيبة الدينوريّ[4]، وأبو الفضل الرازيّ[5]، وأبو بكر

---

(١) ينظر: علىٰ سبيل المثال: تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة: ٢٩- ٤٤، الانتصار للقرآن، للباقلاني ١/ ٣٥٣ - ٣٩٣، الأحرف السبعة للقرآن، للداني: ١- ٧٧، المرشد الوجيز إلىٰ علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة ٨٧- ١٣٧، النشر في القراءات العشر، لابن الجزري١/ ٢١-٣٩، الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي١/ ١٦٣- ١٧٧، لطائف الإشارات لفنون القراءات، للقسطلاني ١/ ٦٣- ٨٢.

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٦٤ وما بعدها.

(٣) كلٌّ علىٰ حسب تخصصاته اللغوية أو الصوتية أو البلاغية أو غيرها. ينظر: مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح: ١٠٨، ١٠٩.

(٤) ينظر قوله في: تأويل مشكل القرآن: ٣١.

(٥) ينظر نقله في كتابه: معاني الأحرف السبعة: ٣٣١. ومذهبُ الرازي -الذي سيأتي ذكره بعد قليل- هو المشهور عنه، وإن لم يرجّحه، ولكنه قولٌ ذكره في كتابه كتأويل من التأويلات التي يحتملها حديث الأحرف السبعة. ولعل سبب اشتهاره عن الرازي أمران، **أحدهما:** ما أحاط به الرازي هذا التأويل من عبارات يُفهم منها=

الباقلانيّ[١]، وأبو عمرو الداني[٢]، وأبو الخير ابن الجزريِّ[٣].

لكن يبقىٰ ما ذكره أبو الفضل الرازيّ هو القول الذي تميل إليه النفس[٤]، وقد ذكَرَ[٥] أن المراد بالسبعة في الحديث سبعة أوجهٍ من التغاير والتنوّع والاختلاف في الألفاظ تنحصر في:

=تقديمه هذا القول علىٰ غيره، كتصديره الكلام بقوله: "فمن التأويلات التي يحتملها الخبر، ولم يتقدم علىٰ نظامه تأويل"، وتعقيبه بقوله: "فهذا أعمّ وجه، لم يَفُتْهُ شيء من اختلاف اللفظ بحال"، وقوله: "وكذلك سائر الكلام لا ينفك اختلافه من هذه الأجناس السبعة المتنوعة"، وقوله: "فإن وافق هذا التأويل معنىٰ الخبر (حديث الأحرف السبعة)؛ حذواً بحذوٍ، فقد أصاب من اتخذ به، وإن لم يوافقه فلا شك في دخول معنىٰ الخبر تحت هذه الوجوه وإن لم يكن مرتّبا عليها".

الأمر الثاني: نصُّ بعض الأئمة الثقات كابن حجر، والسيوطي، والزرقاني وغيرهم علىٰ أن هذا هو مذهب أبي الفضل الرازي، وقد صدَّرَ ابنُ حجرٍ الكلامَ بقوله: "وقال أبو الفضل الرازي: "الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه في الاختلاف، الأول: اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع أو تذكير... الخ. وكذلك فعل السيوطي، وقال الزرقانيُّ: "والذي نختاره -بنور الله وتوفيقه- من بين تلك المذاهب والآراء هو ما ذهب إليه الإمام أبو الفضل الرازي في اللوائح إذ يقول: ...". ينظر: فتح الباري ٩/ ٢٩، الإتقان ١/ ١٦٦، مناهل العرفان ١/ ١٠٩ .

(١) ينظر قوله في: الانتصار للقرآن ١/ ٣٨٥ وما بعدها.

(٢) ينظر قوله في كتابه: الأحرف السبعة للقرآن: ٢٧ .

(٣) ينظر قوله في: النشر ١/ ٢٦.

(٤) وهو أيضا اختيار الشيخ الزرقاني. ينظر: مناهل العرفان ١/ ١٠٩ .

(٥) وإن كان مذهب الرازي الذي يعتقده في الحديث هو القراءة بما ثبت من قراءات، وتجنُّب جحود وإنكار شيء ثابت من القراءات، وقد عبّر عن ذلك بقوله: "فأما ما أعتقده في الخبر من وراء ما ذكرته؛ وهو أسلم المذاهب؛ هو التوصل إلىٰ ما كُلِّفنا بهذه الأخبار، والإمساك عما كُفينا منها". ينظر: معاني الأحرف السبعة: ٣٥٢.

١ - اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث.

٢- اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر(١).

٣- وجوه الإعراب. ٤- النقص والزيادة(٢).

٥- التقديم والتأخير. ٦- الإبدال.

٧- اختلاف اللغات كالفتح والإمالة، والترقيق والتفخيم، والإدغام والإظهار ونحو ذلك(٣).

وسببُ الميل إلىٰ ترجيح هذا المذهب أنّ حِكمةَ التيسير باديةٌ فيه؛ لأن الإمام الرازيّ لم يُهمِل اختلاف اللهجات الذي يستوعب أكثر كلمات القرآن الكريم، وربما يكون هو الأحقّ بإرادة التيسير الذي طلبه النبيّ ﷺ بقوله أكثر من مرة: "... فرددتُ إليه: أن هوِّنْ علىٰ أمتي"(٤).

أما بقية الأقوال التي رأت أن المراد بها سبعة أوجه من الاختلاف، علىٰ ذهب إليه ابنُ قتيبة وابنُ الجزريّ وغيرُهما، فأرىٰ أن عدم النص فيها علىٰ أوجه اختلاف اللهجات (اللغات) كالإظهار والإدغام والفتح والإمالة وباقي أبواب الأصول(٥)، من أهمّ الأسباب في عدم رجحان أيٍّ من هذه

(١) ويدخل في هذا الوجه أيضًا اختلاف الأفعال بين التاء والياء في مثل: (تعلمون- يعلمون).

(٢) والبعض يُعبِّرُ عن هذا بـ: (بالحذف والإثبات)، وأراه أَوْفَقُ وأحسنُ.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٦٦.

(٤) أُشِيرُ بهذا إلىٰ حديث أُبيّ بن كعب ﷺ الطويل، والذي فيه: "إن ربي أرسل إليَّ أن أقرأ القرآن علىٰ حرف فرددتُ إليه: أن هَوِّن علىٰ أمتي، فأرسل إليَّ: أنِ أقرأ علىٰ حرفين، فرددتُ إليه: أن هوِّنْ علىٰ أمتي: فأرسل إليَّ أن اقرأه علىٰ سبعة أحرف". مسند الإمام أحمد ٣٥/ ١٠٢، حديث رقم: ٢١١٧١.

(٥) الأصول في اصطلاح القراء: ما اطَّرَدَ حكمه وجرىٰ علىٰ سَنَنٍ واحد، أو القواعد الكلية التي تنطبق علىٰ ما تحتها من الجزئيات. ينظر: سراج القارئ المبتدي: ١٦٩، ١٧١، مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات: ٢٧.

الأقوال؛ لعدم ظهور الحكمة من نزول القرآن علىٰ سبعة أحرف- وهي التيسير والتخفيف والتوسعة علىٰ الأمة- في هذه الأقوال.

حيث إنّ العرب الذين نزل فيهم القرآن كانوا فصحاء بلغاء بسليقتهم، ومثل هؤلاء لا يعجز الواحد منهم، حتىٰ ولو كان شيخًا فانيًا، أو عجوزاً، أو غلامًا، أو جارية، أو رجلاً لم يقرأ كتابًا قط، لا يعجز أحد من هؤلاء أن ينطق لفظةً بتاء الخطاب وهي قد نزلت أول ما نزلت بياء الغيبة، أو العكس(١)، ولا يعجز كذلك أن ينطق لفظةً بالرفع وهي قد نزلت أول ما نزلت بالنصب، أو العكس(٢)، ولا يعجز كذلك أن ينطق لفظةً بالتشديد وهي قد نزلت أول ما نزلت بالتخفيف، أو العكس(٣)، أو يعجز أن ينطق ويقرأ موضع سورة التوبة: ﴿تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ بزيادة ﴿مِنۡ﴾، لا سيّما وأنه معتادٌ علىٰ ذلك في جميع القرآن، وهكذا باقي أوجه الاختلاف في كل الكلمات الفرشية(٤) في جميع القرآن، لكن بعض هؤلاء العرب قد يعجز -ولا شك- عن أن ينطق بتسهيل الهمزات(٥) بعد أن اعتاد علىٰ تحقيقها، أو

---

(١) مثل القراءات التي اختلف القراء فيها بين الخطاب والغيبة، كـ: (عما تعلمون) [البقرة: ٧٤]، (لا يعبدون إلا الله) [البقرة: ٨٣]، ونحوهما.

(٢) مثل القراءات التي اختلف القراء فيها بين الرفع والنصب كـ: (ليس البر) [البقرة: ١٧٧]، (وصيةٌ) [البقرة: ٢٤٠] ونحوهما.

(٣) مثل القراءتين التاليتين: (بما كانوا يكذبون) [البقرة: ١٠]، (فيضاعفه) [البقرة: ٢٤٥]، وغيرهما.

(٤) الفَرْشُ: ما قلّ دَوْره من حروف القراءات المختلف فيها، فهي مفروشة أي مذكورة في أماكنها من السور، بخلاف الأصول؛ لأن الأصل الواحد منها ينطوي علىٰ الجميع. ينظر: سراج القارئ المبتدي ص: ١٧١ ، مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات: ٨٦ .

(٥) التسهيلُ هنا: جَعْلُ الهمزة بين بين، أي بين الهمزة والحرف الذي منه حركتها.

يعجز عن إمالة[1] بعض الحروف بعد أن اعتاد علىٰ فتحها، أو يعجز عن إدغام حرف في آخر بعد أن اعتاد علىٰ إظهارهما، وهكذا.

يؤيد ويشهد لما ذهبتُ إليه قول الإمام ابن قتيبة: "فكان من تيسير الله أن أَمَرَ رسوله ﷺ بأن يُقرِئَ كلَّ قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم ... والأسديّ يقرأ: تِعلمون وتِعلم ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾، و﴿أَلَمْ إِعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾، والتّميميّ يهمز، والقرشيّ لا يهمز، والآخر يقرأ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ ، ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ بإشمام الضم مع الكسر، و﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ بإشمام الكسر مع الضم، و﴿مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾ بإشمام الضم مع الإدغام، وهذا ما لا يطوع به كل لسان.

ولو أنّ كلَّ فريق من هؤلاء أُمِرَ أن يزول عن لغته، وما جرىٰ عليه اعتياده طفلاً وناشئًا وكهلاً لاشتد ذلك عليه، وعظُمت المحنة فيه، ولم يمكِنْه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للّسان، وقطع للعادة، فأراد الله – برحمته ولطفه– أن يجعل لهم متّسعًا في اللغات، ومتصرّفًا في الحركات، كتيسيره عليهم في الدّين حين أجاز لهم علىٰ لسان رسوله ﷺ أن يأخذوا باختلاف العلماء من صحابته في فرائضهم وأحكامهم، وصلاتهم وصيامهم، وزكاتهم وحجّهم، وطلاقهم وعتقهم، وسائر أمور دينهم"[2].

فيلاحَظُ أنّ كلَّ ما مَثَّلَ به الإمامُ ابنُ قتيبة هنا ينتمي إلىٰ اللهجات، أو ما يدخل ضمن أبواب أصول القراءات.

---

(١) الإمالةُ: أنْ تَنْحُوَ بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء، وهي قسمان: محضة، ويعبَّرُ عنها بالإضجاع، والبَطْح، وغير محضة، وهي المعبَّر عنها بـ: بين اللفظين، والتقليل، والتلطيف، وبين بين. ينظر: النشر ٢/ ٢٤.

(٢) تأويل مشكل القرآن: ٣٢.

وعندما أقول وأردّد هنا ما ذكره العلماء قديمًا وحديثًا إن الحكمة من إنزال القرآن علىٰ سبعة أحرف هي التيسير علىٰ الأمة، فإنني أقيِّد هذا القول وأخصصه بما أطلق عليه علماءُ القراءات في مؤلفاتهم: "أبواب الأصول" خاصة، ويلحق بها بعض المواضع الفرشية؛ لأنه من المقبول عقلاً أن يجد العربيُّ القديم صعوبة في نطق كلماتٍ بالإمالة في حين أنه نشأ واعتاد علىٰ الفتح، أو يجد صعوبة في الإدغام في حين أنه نشأ لسانه علىٰ النطق بالإظهار، أو يجد صعوبة في تسهيل بعض الهمزات؛ لأنه شبَّ وشابَ علىٰ النطق بالتحقيق، أو العكس، وهكذا في باقي أبواب الأصول من اختلاس بعض الحركات وإشمامها، وقصر بعض الهاءات وإسكانها وإشباعها، وإبدال الهمزات ونقْل حركاتها وحذفها، وتقليل الألفات وإمالاتها وغير ذلك، وأبوابُ الأصول تمثِّلُ الجزءَ الأكبر من القرآن الكريم من حيث التوزُّع والانتشار، فلا تخلو آية – تقريبًا- من وجود عدد قلَّ أو كثُر من أبواب الأصول فيها، بينما تخلو آيات كثيرة من الكلمات الفرشية المختلف فيها بين القراء.

وتتجلىٰ حكمة التيسير بشكل أكبر عند تذَكُّر أن الناطقين لكلمات القرآن الكريم والتالين لآياته ـ المعاصرين للنبيّﷺ، الذي نزل القرآن عليه بسبعة أحرف لأجل التيسير عليهم ـ لم يكونوا كلهم قرّاء أو كاتبين أو شبابًا، بل كانت شريحة كبيرة جداً من هؤلاء كُهولاً ونساءً ومَن لم يقرأ كتابًا قطّ، يضاف إلىٰ ذلك العصبية القبلية التي كانوا يعيشونها، وكانت متجذرةً في أغلب الداخلين في الإسلام.

وما قيل في أبواب الأصول يقال أيضًا وينطبق علىٰ بعض الكلمات الفرشية، مثل إشمام ﴿قِيلَ﴾ و﴿وَغِيضَ﴾ وأخواتهما، وقراءة الإسكان أو

الاختلاس[1] في ﴿نِعِمَّا﴾، ﴿يَهِدِّى﴾، ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ ونحوها، وتشديد ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُواْ﴾، و﴿هَلۡ تَرَبَّصُونَ﴾ وبابها، وإشمام[2] ﴿مِّن لَّدُنۡهُ﴾ ﴿مِن لَّدُنِّي﴾، واختلاس ﴿وَأَرِنَا﴾ و﴿بَارِيكُم﴾ وأخواتها، وغير ذلك الكثير.

لكن لا يُتصوَّرُ هذا التيسير بشكل كبير في أغلب الكلمات الفرشية، التي يدور الخلاف فيها بين الحذف والإثبات، والغيبة والخطاب، والإفراد والجمع، والتشديد والتخفيف، والرفع والنصب وغيرهما من حركات الإعراب والبناء، وسوىٰ ذلك مما سبقت الإشارة إليه قبل قليل.

وهنا ينبغي القول أن الحكمةَ من إنزال القرآن الكريم علىٰ سبعة أحرف - في أبواب وسور الفرش أو أغلبه - هي الإعجازُ[3]، الإعجازُ في: التغاير والالتفات من صيغ الغيبة والخطاب والتكلم، الإعجازُ في الحذف والإثبات، والفكّ والإدغام[4]، الإعجازُ في التغاير بين القراءة بالإفراد والجمع، أو التشديد والتخفيف، أو حركات الإعراب والبناء، وغير

(١) وهو الإتيان ببعض الحركة في الوصل، وهو يدخل جميع أنواع الحركات من فتح وضم وكسر، وُيقدَّر المحذوف من الحركة بالثلث والمنطوق بالثلثين، ويرادفه:(الإخفاء). ينظر: النشر ٢/ ١٧٧، ٢٦٥، ومختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات: ١٤.

(٢) وهو هنا عبارة ضم الشفتين مع الدال من غير نطقٍ. لطائف الإشارات لفنون القراءات ٦/ ٢٧٤٥.

(٣) سبقني في الإشارة إلىٰ هذا الشيخُ مناع القطان في كتابه: مباحث في علوم القرآن ص: ١٦٠، وأستاذنا الدكتور/ محمد حسن جبل -رحمه الله- أثناء تدريس فضيلته لنا في مرحلة الدراسات العليا، وغيرهما.

(٤) حيث تتجلىٰ في نحو ذلك القاعدة المشهورة: زيادة المبنىٰ تدل علىٰ زيادة المعنىٰ. تنظر الإشارة إليها في: المحتسب ٢/ ٢١٠، الخصائص ٢/ ١٥٤، روح المعاني ٩/ ٢١، وغيرها.

ذلك، وقد أشار إلىٰ ذلك الإعجاز الإمامُ ابن الجزريّ عند بيانه فوائد تنوّع القراءات بذلك؛ حيث بيَّنَ أنّ كلَّ قراءة بمنزلة آية مستقلة، وتنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات، ولو جُعلت دلالةُ كل لفظ آية علىٰ حدتها لم يَخْفَ ما كان في ذلك من التطويل(١).

وهذا الإعجازُ - الذي أعتقده - في القراءات القرآنية يستلزم أن يكون في كل قراءة إضافة ومعنىٰ غير الموجود في القراءة الأخرىٰ، وإلا لَـمَا ظهر وجه الإعجاز، ولَوَجَدْنا من العرب المُبْغِضين الذين تحدّاهم القرآن الكريم، أو غيرهم في عصر النبوة أو بعده من عصور الاحتجاج من يُقَلِّل من شأن تلك الأوجه التى نزل بها القرآن (القراءات) ويطعن فيها، وأنها لا إضافة فيها- وهم كانوا أحرص ما يكونون علىٰ مثل ذلك- لكن لمّا لم يوجد ذلك علمنا أنهم كانوا يدركون تماما ويلمسون الفروق اللغوية والدلالية التي يُضيفها كل وجهٍ إلىٰ الآخر، وكل قراءة إلىٰ الأخرىٰ.

من هنا وجدت لزامًا عليَّ وعلَىٰ أمثالى من المنتسبين إلىٰ هذا العلم الشريف الجليل البحْث في هذا الموضوع، في محاولة مني – أسأل الله

---

(١) ينظر: النشر ١/ ٤٧. وهذا تعددٌ لوجوه الإعجاز بالقراءات المتواترة، رغم أن إعجاز القرآن الكريم ثابت بآيات أخرىٰ كثيرة. وبهذا لا يكون هناك تعارض بين الأمر بالترخُّص في القراءة بأكثر من وجهٍ - من خلال ما نزلَ- (حديث الأحرف السبعة)، وبين كون الإعجاز ثابت في القرآن المكيّ؛ لأن حديث الأحرف السبعة كان - علىٰ الراجح- في العهد المدني، والقرآنُ المكيُّ نزل ابتداءً علىٰ وجه واحد، وإنما تعددت الوجوه القِرائية فيه عن طريق إعلام سيدنا جبريل عليه السلام رسولَ الله ﷺ بها أثناء المعارضات الرمضانية، قال الداني: "فكان جبريل عليه السلام يأخذ عليه في كل عرضة بوجهٍ وقراءةٍ من هذه الأوجه والقراءات المختلفة، ولذلك قال ﷺ: «إن القرآن أنزل عليها وإنها كلها شاف كاف»، وأباح لأمّته القراءة بما شاءت منها مع الإيمان بجميعها والإقرار بكلها". جامع البيان في القراءات السبع ١/ ١١٩.

التوفيق فيها – إلىٰ تلمُّس هذه الفروق بين القراءات القرآنية، وإبراز بعض جوانب وأسرار هذا التنوع بين القراءات، وخاصة الصيغ الصرفية التي تنوعت في نطاقها بعض القراءات القرآنية.

ولا شكّ أن التغاير بين القراءات في نطاق الصيغ الصرفية، والعدول من صيغة إلىٰ أخرىٰ أكثر منها حروفًا إنما يكمُن وراءه سرٌّ من الأسرار، وينطوي علىٰ معنىٰ جليل مقصود.

يقول ابنُ الأثير: "اعلم أن اللفظ إذا كان علىٰ وزنٍ من الأوزان ثم نُقل إلىٰ وزن آخر أكثرَ منه فلا بدّ من أن يتضمن من المعنىٰ أكثر مما تضمنه أوّلا؛ لأن الألفاظ أدلّة علىٰ المعاني، وأمثلة للإبانة عنها، فإذا زِيدَ في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني، وهذا لا نزاع فيه؛ لبيانه، وهذا النوع لا يستعمل إلا في مقام المبالغة.

فمن ذلك قولهم: خَشِنَ واخْشَوْشَنَ، فمعنىٰ خَشِنَ دون معنىٰ اخْشَوْشَنَ؛ لِمَا فيه من تكرير العين وزيادة الواو، نحو: فَعِل وافْعَوْعَلَ، وكذلك قولهم: أعشب المكانُ، فإذا رأوا كثرة العُشْب قالوا: اعشوشب.

ومما ينتظم بهذا السلك: قَدَرَ واقتَدَرَ، فمعنىٰ (اقتدر) أقوىٰ من معنىٰ (قدر) قال الله تعالىٰ: ﴿... فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٤٢]. فـ"مُقْتَدِرٌ" ههنا أبلغ من قادر، وإنما عُدِل إليه للدلالة علىٰ تفخيم الأمر وشدة الأخذ الذي لا يصدر إلا عن قوّة الغضب، أو للدلالة علىٰ بسطة القدرة، فإن المقتدر أبلغ في البسطة من القادر، وذاك أن مقتدراً اسم فاعل من اقْتَدَرَ، وقادرٌ اسم فاعل من قَدَرَ، ولا شك أن افْتَعَلَ أبلغ من فَعَلَ.

علىٰ هذا ورد قول أبي نواس:

فعفوتَ عنّي عفو مقتدر ∴ حلّت له نقم فألفاها

أي: عفوتَ عني عفوَ قادرٍ متمكّن القدرة، لا يردّه شيء عن إمضاء قدرته... وهذا وما يجري مجراه إنما يُعمَدُ إليه لضرْب من التوكيد"(١).

ثم يقول: "وههنا نُكتة لا بُدّ من التنبيه عليها، وذلك أن قوة اللفظ لقوة المعنىٰ لا تستقيم إلا في نقل صيغة إلىٰ صيغة أكثر منها، كنقل الثلاثي إلىٰ الرباعي، وإلا فإذا كانت صيغة الرباعي مثلاً موضوعةً لمعنىٰ فإنه لا يراد به ما أُريد من نقل الثلاثي إلىٰ مثل تلك الصيغة، ألا ترىٰ أنه إذا قيل في الثلاثي "قَتَلَ" ثم نقل إلىٰ الرباعي فقيل "قتّل"- بتشديد التاء- فإن الفائدة من هذا النقل هي التكثير: أي أنّ القتلَ وُجِد منه كثيراً.

وهذه الصيغة الرباعية بعينها لو وردت من غير نقْل لم تكن دالةً علىٰ التكثير، كقوله تعالىٰ: "وكلّم الله موسىٰ تكليما"، فإن كلّم علىٰ وزن قتّل، ولم يرد به التكثير، بل أريد به أنه خاطبه، سواء كان خطابه إياه طويلاً أو قصيراً، قليلاً أو كثيراً، وهذه اللفظة رباعية، وليس لها ثلاثي نقلت عنه إلىٰ الرباعي، لكن قد وردت بعينها ولها ثلاثي ورباعي فكان الرباعي أكثر وأقوىٰ فيما دل عليه من المعنىٰ؛ وذاك أن تكون كلّم من الجرح: أي جرّح، ولها ثلاثي وهو كَلَمَ مخففا: أي جرح؛ فإذا وردت مخففة دلت علىٰ الجراحة مرة واحدة، وإذا وردت مثقلة دلت علىٰ التكثير.

وكذلك ورد قوله تعالىٰ: ﴿... وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزّمل:٤]، فإن لفظة «رتّل» علىٰ وزن لفظة قتّل، ومع هذا ليست دالة علىٰ كثرة القراءة، وإنما المراد بها أن تكون القراءة علىٰ هيئة التأني والتدبر، وسبب ذلك أن هذه اللفظة لا ثلاثي لها حتىٰ تنقل عنه إلىٰ رباعي، وإنما هي رباعية موضوعة لهذه الهيئة

(١) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير ٢/ ٥٦، ٥٧ .

المخصوصة من القراءة؛ وعلىٰ هذا فلا يستقيم معنىٰ الكثرة والقوة في اللفظ والمعنىٰ إلا بالنقل من وزن إلىٰ وزن أعلىٰ منه، فاعرف ذلك"[1].

ويقرّرُ ابنُ جني بشكل صريح أن ما كان علىٰ زِنة «افتعل» تحديداً هو أقوىٰ معنىٰ مما كان علىٰ زنة (فَعَل)، فيقول عند توجيهه قراءة أبي حَيْوَة: ﴿يَدَّرِسُونَهَا﴾ [سبأ: ٤٤]، بتشديد الدال مفتوحة، وبكسر الراء، حيث قال: "هذا يفتعلون من الدرس، وهو أقوىٰ معنىٰ من ﴿يَدْرُسُونَهَا﴾؛ وذلك أن افتعل لزيادة التاء فيه أقوىٰ معنىً من فَعَل"[2].

وهذا الذي ذهب إليه ابنُ جني وابنُ الأثير يعضّده ما ورد عن سيبويه أنه سأل الخليلَ عن سبب زيادتهم في بناء (اخشوشن) عن (خشِن)، فقال له الخليلُ: كأنهم أرادوا المبالغة والتوكيد، كما أنه إذا قال: اعشوشبت الأرض فإنما يريد أن يجعل ذلك كثيرا عاما، قد بالغ ... كما أنه قد يجيء الشيء علىٰ أفعلت وافتعلت ونحو ذلك، لا يفارقه بمعنىٰ، ولا يستعمل في الكلام إلا علىٰ بناء فيه زيادة[3].

ومِثْلُ هذا مرويٌّ أيضـًا عن أحمد بن يحيىٰ (ثعلب)، حيث نقل الأستراباذي عنه أنه يرىٰ أنه لا بُدّ لكل زائد من معنىٰ[4].

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير ٢/ ٥٩ .

(٢) ينظر: المحتسب ٢/ ١٩٥، الخصائص ٣/ ٢٦٨.

(٣) ينظر: الكتاب ٤/ ٧٥، ٧٦ .

(٤) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، للرضي الأستراباذي ١/ ٦٧. وممن تعرّض لهذا القاعدة أيضـًا: (زيادة المعنىٰ لزيادة المبنىٰ) ابنُ جني والزمخشريُّ والسبكي والألوسيُّ. ينظر: المحتسب ٢/ ٢١٠، الخصائص ٢/ ١٥٤ وما بعدها، الكشاف ١/ ٨، ٢/ ٢١٠، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ١/ ٦٧، روح المعاني ٩/ ٢١.

ومع اتفاق الإمام تاج الدين السبكي مع غيره في هذه المسألة (زيادة الحروف لزيادة المعنىٰ)، إلا أنه خالفهم في أن الكلمة الأقلّ معنىً وحروفًا ربما تكون في سياقها أفصح من الأخرىٰ[١]، ويبقىٰ دور السياق والمقام في الوقوف علىٰ ما بين المبنىٰ والمعنىٰ من علاقة وطيدة، مع بيان مقدار هذه العلاقة، أما القول باطّراد زيادة المعنىٰ لزيادة المبنىٰ فهو يحتاج إلىٰ استقراء واسع لسياقات لغة العرب، مع الالتفات إلىٰ كافة العوامل التي يمكن أن تؤثّر في زيادة المعنىٰ ونقصانه[٢].

وكما هو معلوم لدىٰ المتخصصين أن الزيادة لا تكون إلا لغرضٍ[٣]، فلم تكن العربُ لتزيدَ أحرفًا علىٰ صيغة (فَعلَ) إلا لأغراضٍ ومعانٍ تقصدها، وقد نزل القرآن الكريم بهذه اللغة التي يعرفون قوانينها ونظامها، فلم تتنوع القراءة إلا لأغراض ومعان كان العرب وقت نزول القرآن يلمسونها ويتذوقونها. ونحن اليوم نحاول – جاهدين- تلمُّس هذه المعاني، والوقوف علىٰ بعض ما ترمي إليه هذه الأغراض في الزيادة من خلال القراءات القرآنية.

---

(١) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ١/ ٦٧ ، ٦٩.

(٢) ينظر: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، د. عبد الحميد هنداوي: ٤٦.

(٣) من هذه الأغراض: الزيادة لمعنىٰ، وتكثير حروف الكلمة، والتعويض عن محذوف، وإمكان الابتداء بساكن، أو الوقف علىٰ الكلمة التي بقيت علىٰ حرف واحد، ولبيان الحركة أو الحرف، وغير ذلك. ينظر: المنصف لابن جني: ١٣، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي ٣/ ٤٥٨، والمغني في تصريف الأفعال: ٦٣.

وقبل الولوج في تفاصيل هذا الموضوع تجدر الإشارة إلىٰ معاني صيغة (افْتَعَلَ)، المستعملة في اللغة؛ لأن هذه الصيغة من الصيغ الصرفية الثرية بمعان عديدة تدل عليها، لكن المشتهر فيها عشرة معانٍ هي[1]:

١ -الاتّخاذ، كـ : اختتم زيد، واختدم، اتخذ له خاتمًا، وخادمًا.

٢ - الاجتهاد والطلب والتكلُّف[2]، كـ : اكتسب، واكتتب، أي اجتهد وطلب الكسب والكتابة.

٣ - المشاركة، كاختصم زيد وعمرو: اختلفا.

٤ - الإظهار، كـ: اعتذر واعتظم، أي أظهر العُذر، والعَظَمة.

٥ - المبالغة في معنىٰ الفعل، كـ : اقتدر وارتدّ، أي بالغ في القدرة والردَّة.

---

(١) تُنظر هذه المعاني في: الكتاب، لسيبويه ١/ ٧٣، ٧٤، الممتع الكبير في التصريف، لابن عصفور: ١٣١، شرح شافية ابن الحاجب ١/ ١٠٨، ٢٦٣، ارتشاف الضرب ١/ ١٧٥، شرح التسهيل ٣/ ٤٥٦، همع الهوامع ٣/ ٣٠٥، شذا العرف في فن الصرف، للحملاوي ص: ٣٢، ٣٣، نزهة الطرف شرح بناء الأفعال في علم الصرف، د. صادق محمد البيضاني، ص: ٦٣.

وتأتي هذه الصيغة أيضًا: بمعنىٰ: استفعل، وتفاعل. وللدلالة علىٰ زيادة المعنىٰ كـ: كسب واكتسب، وعمل واعتمل، وبغير ذلك. ينظر: الكناش في فني النحو والصرف، لعماد الدين إسماعيل بن علي ٢/ ٧٠.

(٢) وبعض العلماء يعبِّر عن هذا المعنىٰ بـ: التصرُّف. ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، للأستراباذي ١/ ١١٠، همع الهوامع ٣/ ٣٠٥. وبعضهم يعبر عنه بـ"التسبب" كاعتمل: تسبب في العمل. ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان ١/ ١٧٥، شرح التسهيل، لابن مالك ٣/ ٤٥٥.

٦ -المطاوعة[1]، كـ : عَدَلته فاعتدل، وجَمَعته فاجتمع، وأنصفته فانتصف.

٧- التخيير: كـ: انتخَبَ، وانتقَىٰ، واصطفىٰ.

٨ - أن تكون بمعنىٰ "تَفَعَّلَ": كقولك: ادَّخَلَ ادَّلَج، تريد: تَدخَّلَ وتَدَلَّجَ.

٩- الخَطفة (الأخْذ بسُرعة): كـ: انتَزَعَ واستَلَبَ.

١٠ - البحث عن حقائق الأمور، كـ: امتحن الأستاذُ التلميـذَ، إذا تحقَّقَ من فهمه ومذاكرته.

(١) لـ: فَعَلَ، أَفْعَلَ. ويأتي كذلك لموافقة "تفاعل"، كـ: اجْتَوَروا واشْتَوَرُوا، بمعنىٰ: تجاوروا وتشاوروا، وموافقةً لـ"استفعل" كـ: ارتاح واستراح، واحتمىٰ واستحمىٰ. ينظر: شرح التسهيل ٣/ ٤٥٦.

الفصل الأول
من أسرار التبادل بين صيغتي: فَعِلَ [بكسر العين] وافْتَعَلَ في القراءات المتواترة

المبحث الأول: التبادل الصيغي في الفعل (تَبِع)، وفيه موضعان:

الأول: قول الله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ...﴾ الأعراف:١٩٣].

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء:٢٢٤] (١).

١ -القراءات المتواترة الواردة في الموضعين:

قرأ نافع بإسكان التاء وفتح الباء فيهما. وقرأ الباقون بفتح التاء مشددة وكسر الباء في الموضعين(٢).

٢ -التحليل اللغوي:

جمهور اللغويين(٣) علىٰ أن القراءتين لغتان بمعنىٰ واحد، قال الخليلُ: "... والإتّباع، يتبَعه: يتلوه. تَبِعَه يَتْبَعُهُ تَبَعًا ... وتَبِعْتُ شيئًا، واتَّبعْتُ سواء" (٤).

---

(١) أغلب ما سيُذكر في هذا البحث من نتائج واستنباطات هي إشارات لساداتنا من علماء اللغة والتفسير وتوجيه القراءات وغيرهم، وبعض هذه الاستنباطات هي من فَتْحِ الله تعالىٰ علىٰ عُبَيْدِهِ الباحثِ، نتيجة التأمل الطويل في نصوص العلماء، والربط بينها، ولا يمكن له الجزم بِحَتْمِيّتها، وإنما هي مما تحتملها الآية أو اللفظة القِرائية، وهي مما يمكن أن يكون صوابًا إن شاء الله.

(٢) ينظر: غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار، لأبي العلاء الهمذاني ٢/ ٥٠١، النشر ٢/ ٢٧٤.

(٣) وكذا عددٌ من المفسرين. ينظر علىٰ سبيل المثال لا الحصر: بحر العلوم، للسمرقندي ١/ ٥٧٥، الوسيط، للواحدي ٢/ ٤٣٥، معالم التنزيل، للبغوي ٢/ ٢٥٩، المحرر الوجيز ٢/ ٤٨٨.

(٤) العين ٢/ ٧٨.

وقال الأزهريُّ: "يُقَال: تَبِعَ فلَانٌ فلَانـًا واتَّبعه... قال أبو عُبيد: أَتْبَعت القَوْم مِثَال أَفْعَلت: إذا كانوا قد سبقوك فلحِقْتَهم. قال: واتَّبَعْتَهم مثل افْتَعَلتَ: إذا مرُّوا بك فمضيْتَ معهم، وتَبِعْتهم تَبَعـًا مثله ... وقال اللَّيْثُ: تبِعت فلَانـًا واتَّبَعْته سَوَاءٌ"(١).

وقال الزمخشريُّ: "تَبِعَه تَبَعـًا... واتَّبَع أثره وأَتْبَعه زاده. وأَتْبَع القومَ: سبقوه فلحقهم. يقال: تَبِعْتُهم فأَتْبَعْتُهم أي تلوتهم فلحقتهم"(٢).

فيُلحظ في كل النصوص السابقة أن أصحابها سوَّوا بين (تَبِعَ- اتَّبَعَ) في المعنىٰ ولم يفرّقوا بينهما.

وعلىٰ الطرَف الآخر نجد مِن اللغويين مَن يفرّق بين هذين الفعلين: (تَبِعَ – اتَّبَعَ) في المعنىٰ(٣)، كابنِ فارس الذي يقول: التاءُ والباءُ والعينُ واحدٌ لا يَشِذُّ عنه من الباب شيءٌ، وهو التُّلُوُّ والْقَفْوُ، يقال: تَبِعْتُ فلانـًا إذا

(١) ينظر: تهذيب اللغة ٢/ ١٦٧، ١٦٨. وكذا: المخصص ٤/ ٩٥، المحكم والمحيط الأعظم (مقلوب "تبع") ٢/ ٥٦، تاج العروس (فصل التاء) ١١/ ٤٠.

(٢) أساس البلاغة ١/ ٨٩.

(٣) وتبنّىٰ هذا الرأيَ بعضُ المفسرين، كأبي حيان، ومحمد الأمين الهرري. ينظر: البحر المحيط ٥/ ٢٤٨، ٢٤٩، حدائق الروح والريحان ١٠/ ٢٨٧. وجَمَعَ بعضُهم بين القولين السابقين كالقرطبي، والسمين الحلبي، والشوكاني، ومحمد صديق خان. ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٣٤٢، الدر المصون ٥/ ٥٣٧، فتح القدير ٢/ ٣١٦، فتح البيان في مقاصد القرآن ٥/ ١٠٥.

تَلَوْتَهُ، واتَّبَعْتَهُ وأَتْبَعْتُهُ إذا لَحِقْتَهُ وَالأَصْلُ وَاحِدٌ، غَيْرَ أَنَّهُمْ فَرَّقُوا بَيْنَ الْقَفْوِ[1] وَاللُّحُوقِ، فَغَيَّرُوا الْبِنَاءَ أَدْنَىٰ تَغْيِيرٍ"[2].

فيرىٰ ابنُ فارس فرقًا بين الفعلين، فمعنىٰ تَبِعَه: تَلاهُ، أي: مشَىٰ خلفه، سواء أدركه أم لم يدركه، وأما اتَّبعه فمعناه: لَحِقَهُ، أي: مشَىٰ خلفه وأدركه ولحِق به.

وأما ابنُ منظور فقد توسّطَ وجمع بين قوليْ مَن سبقوه، فنجده أولاً يفرّق بين الفعلين فيقول: "تَبِعَ الشيءَ تَبَعًا وتَباعًا فِي الأَفعال، وتَبِعْتُ الشيءَ تُبوعًا: سِرْتُ فِي إِثْرِه؛ واتَّبَعَه وأَتْبَعَه وتتَبَّعه: قَفَاهُ وتَطلَّبه مُتَّبعًا لَهُ"[3].

فهو هنا قد فرّق بين (تَبِعَ- اتَّبَع)[4]، فالأول منهما معناه: سار في إثْرِه فلم يدركه ولم يلحق به. والثاني معناه: قَفَاهُ وتَطلَّبه واجتهد في طلبه وإدراكه، أو لحق به وأدركه.

---

(١) القَفْوُ هو: إتْباع شيء لشيء، فكأنما لَحِق أو التصق به. ينظر: مقاييس اللغة ٥/ ١١٢، المعجم الاشتقاقي المؤصل ١/ ١٩٧.

(٢) مقاييس اللغة ١/ ٣٦٢. وقال في موضع آخر، باب (لَحَقَ): "اللامُ والحاءُ والقافُ أصلٌ يَدُلُّ علىٰ إدراك شيءٍ وبلوغهِ إلىٰ غيره... ورُبَّما قالوا: لَحِقْتُهُ: اتَّبَعْتُهُ". مقاييس اللغة ٥/ ٢٣٨. فهذا النص يؤكد ما سبق أعلىٰ الصفحة أن اتَّبَع بمعنىٰ: لَحَقَ.

(٣) لسان العرب، (فصل التاء) ٨/ ٢٧.

(٤) وكذا: أستاذنا الدكتور/ محمد حسن جبل في: المعجم الاشتقاقي المؤصل ١/ ١٩٧. وينظر أيضًا: الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٣٤٢، فتح القدير٢/ ٤٠٤.

ثم نجده يسوّي بين الفعلين في المعنىٰ فيقول: "...وتَبِعْت الْقَوْمَ تَبَعًا وتَباعةً، بِالْفَتْحِ، إِذا مَشَيْتَ خَلْفَهُمْ أَو مَرُّوا بِكَ فمضَيْتَ مَعَهُمْ... وتَبِعَه تَبَعًا واتَّبَعه: مرَّ بِهِ فمضَىٰ مَعَهُ. "[(١)].

وهنا نراه يَقْصُرُ معنىٰ المَشْي خَلْفَ شخصٍ، أو المرور به والمُضِيِّ معه علىٰ الفعل (تَبِعَ)، ثم ما يلبَثُ أن يجعل هذا المعنىٰ للفعلين (تَبِعَ- اتَّبَعَ)، فيُسوّي بينهما.

٣ - التوجيه[(٢)]:

علىٰ خُطَىٰ اللغويين سار علماءُ التوجيه، فبينما نجد عدداً منهم يسوِّىٰ بين الفعلين، مقرِّراً أنهما بمعنىٰ واحد، كأبي منصور الأزهريّ، وأبي علي الفارسيّ، وابن أبي مريم، والبنا الدمياطيّ[(٣)]، وغيرهم[(٤)]، نجد آخرين يفرِّقون بينهما، أو يجمعون بين القولين[(٥)] كابن خالويه[(٦)]، ومكيّ بن أبي

---

(١) لسان العرب، (فصل التاء) ٨/ ٢٧. وينظر أيضًا: المعجم الاشتقاقي المؤصل ١/ ١٩٧.

(٢) سأقتصر فيه علىٰ ذِكْرِ كلام علماء التوجيه خاصة، وهكذا فعلتُ في بقية المواضع التي عالجتُها في هذا البحث.

(٣) ينظر: معاني القراءات ١/ ٤٣٢، الحجة للفارسي ٤/ ١١٣، ١١٤، الموضح ٢/ ٥٦٨، إعراب القراءات السبع وعللها: ١٣٣، الإتحاف: ٢٩٤.

(٤) ينظر: الجامع لقراءات الأئمة العشرة بعللها ووجوهها، لـ : نصر بن عبد العزيز الفارسي (ت: ٤٦١هـ) ١/ ٤٩٩، قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر، لقاسم الدجوي، والصادق قمحاوي: ٥٩.

(٥) أي: ينصُّون علىٰ أن القراءتين لغتان بمعنىٰ واحد، ثم ينصُّون علىٰ التفريق بينهما في المعنىٰ.

(٦) ينظر: الحجة له ص: ١٦٩. ورغم أنه ابن خالويه قد ذكَرَ التفريق بين الفعلين والتسوية بينهما في المعنىٰ، إلا أنه خالف جمهور العلماء فعكَسَ المعنىٰ وجعل=

طالب، والأصبهانيِّ، وأبي عبد الله الفاسي، والقسطلانيّ[1]، فيذهبون إلىٰ أنهما لغتان بمعنىٰ واحد. أو أن المشدد بمعنىٰ: مضَىٰ خلفه فأدركه، والمخفف بمعنىٰ: مضَىٰ خلفه فلم يدركه.

أو أن المخفف بمعنىٰ: اقتفىٰ أثره، والمشدد بمعنىٰ: اقتدىٰ به[2].

٤ -التحليل الصوتي والدلالي:

إن الوقوف علىٰ معنىٰ وتوجيه القراءتين الفرشيتين الواردتين في هذه الآية الكريمة بشكل صحيح يُسهِم فيه فَهْمُ معانىٰ الصيغتين اللّتين سُكَّ فيهما هذان اللفظان (اتَّبَعَ – تَبِعَ) دلاليـًا، ومعرفة تركيب حروفهما صوتيـًا، ولا شك أن معرفة دلالة الحروف صوتيـًا يساعد بشكل كبير علىٰ فهم المراد منها دلاليـًا.

فمن الناحية الصوتية: التاءُ: تعبِّر عن ضغط دقيق (يؤدي إلىٰ حبس ضعيف، أو غير شديد، وقد يؤدي إلىٰ قطع). وتتكون صوتيًّا بالتقاء طرف

=المشدد بمعنىٰ: سار في أثره، والمخفف بمعنىٰ: لحِقَهُ، وأغلب الظن أن هذا تحريف من الناسخ أو سهو من المحقق، ولا يقصد ابن خالويه هذا؛ ويدل علىٰ ذلك أنه استشهد علىٰ ما ذهب إليه بقوله: "ومنه قول العرب: اتّبعه: إذا سار في أثره، وتَبِعه: إذا لحقه"، وهذا خلاف ما هو منقول عن علماء اللغة في معنىٰ هذين الفعلين، إلا أن يكون هذا قول انفرد به ابن خالويه وهو ثقة يحتج بقوله.

(١) ينظر: الحجة لابن خالويه: ١٦٩، الكشف ٢/ ٦٥، إعراب القراءات السبع وعللها: ١٣٣، اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة، للفاسي ٢/ ٨٣٤، لطائف الإشارات ٥/ ٢٢٣١.

(٢) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة، للفاسي ٢/ ٨٣٤، لطائف الإشارات ٥/ ٢٢٣١. وينظر: كنز المعاني للجعبري ٣/ ١٦٣٣.

اللسان (وهو دقيق) بأصول الثنايا العليا التقاءً يحبس النفَس، وهو حبسٌ ضعيف لدقة نقطة الالتقاء(١).

والباءُ: تعبّر عن تجمعٍ تراكميٍّ رخوٍ -مع تلاصقٍ ما، وصوتُ الباء يتكوّن بانطباق الشفتين انطباقًا تامًّا في نقطة أقرب إلىٰ باطنهما من نقطة التقائهما حين نطق الميم(٢).

والعينُ: تعبِّرُ عن رخاوة جِرْم ملتحم (اتساعـًا أو امتداداً). ويتكوَّن صوتها في وسط الحلق، بمرور زمير الجهر بين المضيق من أثناء السد البليل الرخو الذي يعترضه من تراجع جذع اللسان مع الغشاء العريض الرخو الذي يتصل به- إلىٰ الجدار الخلفي الرخو، وبسبب نفاذ الصوت من ذلك التجمع الرخو يشعر الناطق بتلك الرخاوة الملتحمة، ويكتسب الصوت عِرَض صداه ورقّته ونصوعه(٣).

٥ -العلاقة، والفرق بين القراءتين :

تحصَّلَ لنا من خلال ما نُقِل من كلام اللغويين أنّ لهم في هذا الجذر مذهبين، أحدهما: أن (تَبِعَ) ، (اتَّبَع) بمعنىٰ واحد. والآخر أن لكل منهما معنىٰ غير معنىٰ الثاني، وعند التدقيق نجد أن المذهب الثاني أصوب المذهبين، وإن كان يجمعهما المعنىٰ المحوريّ: "لحُوق الشيء بمتقدم أو سابق بلا فصل (مع رقة ولين)(٤)، والفرق بين القراءتين يتضح في ما يلي:

---

(١) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصَّل ١/ ٢٧.

(٢) السابق ١/ ٢٦.

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصَّل ١/ ٣٣.

(٤) يقال: "تابَعَ المَرْتَعُ المالَ: سَمَّنَ خَلْقها فسَمِنَت، والتُّبَّع – كسُكَّر: الظِلُّ، وغُصْنٌ متتابعٌ: إذا كان مستويًا لا أُبَنَ فيه"، (الأُبَن: العُقَد كالتي تكون بينَ الأنابيب،=

١ - قراءة التخفيف ﴿لَا يَتْبَعُوكُمْ﴾ تنفي الاتّباع الحقيقي أو الباطنيّ، وقراءة التشديد ﴿لَايَتَّبِعُوكُمْ﴾ تنفي الاتّباع الظاهريّ، وكأن المعنىٰ فيها: لا يُظهِرون الاتّباع لكم؛ لأن الإظهار من هو أحد المعاني التي تفيدها صيغة (افتعل)، والتي جاءت عليها قراءة التشديد ﴿لَايَتَّبِعُوكُمْ﴾، فالمعنىٰ في الفعلين (اعتذر واعتظم) مثلاً: أظهر العُذر، والعَظَمة[1]، فكأن القراءتين تكملان المعنىٰ، فبمجموعهما ينتفي الاتّباع كليّةً باطنيـًا وظاهريـًا[2].

٢ - قراءة التشديد ﴿لَايَتَّبِعُوكُمْ﴾ تنفي كمال الاتّباع، وقراءة التخفيف ﴿لَا يَتْبَعُوكُمْ﴾ تنفي أصل الاتّباع، فقد يتوهم متوهمٌ أن المشركين ربما اتَّبعوا النبيّ ﷺ وأصحابه في دينهم، أو في شيء من تعاليمه، فجاءت قراءة التخفيف لتنفي أصل هذا الاتّباع تمامـًا، فهؤلاء المشركون الذين عَلِم الله

=والتي تكون مكانَ الغصنِ المقطوعِ). ينظر: لسان العرب ٨/ ٣١، (فصل التاء)، والمعجم الاشتقاقي المؤصَّل ١/ ١٩٧. كما يتربىٰ الشحْم مع رقته علىٰ اللحم ويلحق به، وكاطّراد امتداد الغصن مع استوائه، فذلك لحوق لأوله بلا فصل، والاستواء رقة ولين؛ لأن الأُبَن غليظة، وكالظل يَلْحَق لطيفًا بأصله لا ينفصل عنه، ومنه: "التَبِيع: ولد البقر أول سنة " (يقفو أمه ولا يفارقها).

(١) ينظر: شذا العرف في فن الصرف: ٣٣.

(٢) ويمكن أن يُستأنس لهذا المعنىٰ بما رُوِي في التفسير من التوجيه والجمع بين القراءتين المتواترتين: (فإنهم لا يُكْذِبُونك - لا يُكَذِّبُونك) [الأنعام: ٣٣] بالتخفيف والتثقيل، حيث حكىٰ النقاش أن الآية نزلت في الحارث بن عمرو بن نوفل، فإنه كان يكذِّب في العلانية ويصدّق في السر، ويقول: نخاف أن تتخطفنا العرب ونحن أكلة رأس". ينظر: المحرر الوجيز ٢/ ٢٨٦. فهو - كَكَثِيرينَ غيره -كان يكَذِّبُ النبيّ في الظاهر فقط.

تعالىٰ أزلاً أنهم لن يهتدوا، مهما دعاهم النبيُّ ﷺ إلىٰ الهدىٰ فلن يتْبعوه، فلا يظنّ ظانٌّ، ولا يُؤَمِّلَنّ مُؤَمِّلٌ أنهم سيتبعون الهدىٰ يومـًا ما.

وهذا المعنىٰ السابق مستفادٌ من معنىٰ كل صيغة من صيغتي هذين الفعلين، فقد سبق كلام اللغويين أن معنىٰ (تَبِعَ): تلاه، وسار في إثْره فلم يدركه ولم يلحق به، و(اتَّبَعَ):لحق به وأدركه، أو قفاه وتطَلَّبه متّبعـًا له.

٣ – قراءة التشديد فيها إشارة إلىٰ نفي المبالغة في الاتّباع المستفاد من معنىٰ الصيغة، فمن معانيها المبالغة، وكأنه اتِّباع فيه حرص وقوة. وقراءة التخفيف يفيد جَرْسها عدم الاتباع مع عدم حرص أو متابعة.

٤ – قد يكون في كل قراءة من القراءتين تأصيل لمعنىٰ من المعنيين اللّذَيْنِ ذكرهما المفسرون، حيث إن الضمير في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ يحتمل عَوْده إلىٰ الأصنام، والخطاب للمشركين، والمعنىٰ: وإن دعوتم أيها المشركون أصنامَكم إلىٰ سبيلِ رشادٍ لا يتبعوكم. ويحتمل عَوْده إلىٰ الكفار، والخطاب للنبيّ ﷺ وأصحابه، والمعنىٰ: وإن تدع يا محمد هؤلاء المشركين إلىٰ الهدىٰ لا يتَّبعوكم(١).

٥ – تأتي مادة (اتّبع) في القرآن الكريم – غالبـًا– للدلالة علىٰ حصول المراد بمشقة عاجلة (حسية أو معنوية)، أو للدلالة علىٰ شقاء آجل، فمن الأول الآيات التالية: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ ...﴾ [آل عمران١٦٢]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ...﴾ [النساء١٢٥]، ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ

(١) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي ٢/ ١٧٩، أنوار التنزيل ٣/ ٤٦.

سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ...﴾ [المائدة: ١٦]، ﴿... وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٧]، ﴿... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]، وغيرها(١).

ولا شك أن اتّباعَ المرء، وسعْيَهُ في الأمور التي تُرضي الله فيه مشقة ومخالفة للنفس ولحظوظها، وفي هذه المخالفة مشقة عاجلة، يؤيد ذلك قوله ﷺ: "حُفّت الجنة بالمكاره"(٢)، فمخالفةُ الهوىٰ وحظِّ النفس يصاحبها مشقة حسية أو معنوية، إلىٰ أن يألف المرءُ الطاعةَ، وما يوصله إلىٰ رضوان الله تعالىٰ.

أما النوع الثاني، وهو ما فيه شقاء آجل، فمنه الآيات التالية: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ...﴾ [الأعراف: ١٧٦]، ﴿... وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود ١١٦]، ﴿... وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف ٢٨]، ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [طه ١٦].

وهذه المشقةُ العاجلةُ أو الشقاءُ الآجلُ يصوّره التشديد الحاصل في هذه المادة، المتمثل في حرف التاء المشدّد، فكأن قراءة التخفيف فيها دلالة علىٰ أن النبيّ ﷺ بمجرد أن يدعوَ الكفارَ إلىٰ الهدىٰ فإنهم لن يتْبعوه من الوهلة أو اللحظة الأولىٰ، فهم قد وطَّنوا أنفسهم وأقنعوها بمعاداته ﷺ، وجُبِلت قلوبُهم علىٰ ذلك، وتحكَّم فيهم الهوىٰ والشيطان كل تحكُّم، فهو ﷺ بمجرد أن يفتح فَاهُ الشريفُ بدعوتهم فإنهم سرعان ما يكذِّبونه، ولا يُتيحون لأنفسهم فرصة التفكير في كلامه والاستماع إليه.

---

(١) يراجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص: ١٨٣.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ٢١٧٤، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، حديث رقم: ٢٨٢٢.

أما قراءة التشديد ففيها إشارة إلىٰ المشقة والمجهود الذي يبذله النبيّ ﷺ في دعوتهم إلىٰ الهدىٰ، ولكنهم مع ذلك لن يتَّبِعوه، وهذه المشقة التي بذلها النبيّ ﷺ في دعوتهم سيقابلها شقاء ومشقة يكابدونها في الآخرة، وهذا المعنىٰ مستفاد من التشديد الحاصل علىٰ حرف التاء. وكِلتا القراءتين تعاضد الأخرىٰ، فهما تفيدان أن الكفار لن يتَّبِعوا النبيَّ ﷺ ولن يتْبعوه، سواء بذل جهداً في دعوتهم أو لم يبذل.

وهذا المعنىٰ المتقدّم ينسحب أيضـًا علىٰ قول من قال من المفسرين إن الضمير يعود علىٰ الأصنام، أي: إنْ دعوتم أيها المشركون أصنامكم إلىٰ سبيلِ رشادٍ لا يَتْبَعوكم، سواء بذلتم جهداً أو لم تبذلوا؛ لأنهم جمادات لا يعقلون[(١)]، فهم لن يَتْبَعوكم لمجرد أن دعوتموهم، ولن يَتَّبِعوكم لكونكم أجهدتم أنفسَكم في دعوتهم. والله أعلم.

٦ - يحتمل أن يكون المعنىٰ في قراءة التشديد: لا يُجْهِدون أنفسَهم في اتِّباعكم، بناءً علىٰ أن من معاني صيغة افتعل: الاجتهاد والمبالغة[(٢)]، والمعنىٰ علىٰ قراءة التخفيف: لا يَتْبَعوكم أدنىٰ متابعة أو أقَلُّها. ويعضّد ما سبق أن صيغة (افتعل) تأتي أيضـًا بمعنىٰ (تفعَّل)[(٣)]، ومن معانيها: التكلُّفُ، كتصبّر وتحلّم، أي: تكلَّف الصبر والحِلم[(٤)].

---

(١) ينظر: زاد المسير ٢/ ١٧٩.

(٢) ينظر:شرح شافيةابن الحاجب١/ ٢٦٣، شرح المفصّل٤/ ٤٤١، شذا العرف: ٣٢. وإن كان هناك فرق في المعنىٰ الدقيق بين الإجهاد والاجتهاد إلا أنهما يشتركان في المعنىٰ المحوري لمادة (جَهَدَ)، وهو: إفراغُ قُوة الشيء، وبذل الوُسْع فيه. ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل ١/ ٣٤٩.

(٣) ينظر: همع الهوامع ٣/ ٣٠٦.

(٤) ينظر: شذا العرف في فن الصرف: ٣٢.

٧ - قد يكون المعنىٰ علىٰ قراءة التخفيف: لا يَتْبَعوكم بأنفسهم. وعلىٰ قراءة التشديد: لا يتّخذون معهم تابعين لكم غيرهم؛ لأنّ من معاني صيغة افتعل: الاتّخاذ، كاختتم زيد، أي: اتّخذ له خاتمًا[١]، فيكون (اتَّبع) هنا بمعنىٰ: اتَّخذ معه تابعًا.

٨ - يحتمل أن تكون قراءة التخفيف دالةً علىٰ أن الخطاب للكفار، وضمير المفعول عائد علىٰ الأصنام، والمعنىٰ: "وإن تدعوا هذه الأصنام إلىٰ ما هو هدىٰ ورشاد، أو إلىٰ أن يهدوكم كما تطلبون من الله الهدىٰ والخير لا يَتْبَعوكم علىٰ مرادكم، ولا يجيبوكم، أي ليست فيهم هذه القابلية؛ لأنها جماد لا تعقل"[٢]، يؤيد ذلك أن قراءة التخفيف مأخوذة من تَبِعَ، التي معناها في اللغة: تلاه، وسار في إثْره فلم يدركه ولم يلحق به[٣]. ثم تأتي قراءة التشديد لتفيد أن الخطاب للنبي ﷺ والمؤمنين، وضمير المفعول للكفار، والمعنىٰ: "وإن تدعوا الكفار إلىٰ الهدىٰ لا يقبلوا منكم، فدعاؤكم وصمتكم سيان، أي ليست فيهم قابلية قبول ولا هدىٰ"[٤]؛ لأن قراءة (يتَّبِعوكم) بما فيها من تشديدٍ دالٍّ علىٰ مبالغة وحصول جهد مستفاد من الصيغة نفسها (افتعل) يتناسب مع طبيعة الكفار. أما التخفيف في قراءة (يَتْبَعوكم) فهو يتناسب مع الأصنام باعتبار أنها جمادات لا تعقل.

٩ - يحتمل أن يكون المعنىٰ علىٰ قراءة التخفيف في آية سورة الشعراء: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ أي: يطلبونهم فيضيعونهم، أي يكونون سببًا في ضياعهم، فإن المدح كما يكون من الشعراء للملوك

(١) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب ١/ ٢٦٣، همع الهوامع ٣/ ٣٠٥.
(٢) ينظر: البحر المحيط ٥/ ٢٤٨.
(٣) ينظر: لسان العرب (فصل التاء) ٨/ ٢٧، ثم: الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٣٤٢.
(٤) ينظر: البحر المحيط ٥/ ٢٤٨.

والأغنياء بغية المال والمكانة، فهو يقع أيضًا من العامة والغاوين للشعراء فيكون هذا المدح سببًا في زيادة ومبالغة الشعراء في الكذب والمدح بغير حق، أو تتَبُّع العورات أو هجاء ضعيف، أو التشبيب بمسلمة أو غير ذلك مما قد يكون سببًا في هلاك الشعراء ، وهذا المعنىٰ السابق مستفادٌ من القياس علىٰ تفسير العلماء لحديث أبي موسىٰ الأشعريّ أنه قال: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَائِنٌ لَكُمْ أَجْرًا، وَكَائِنٌ لَكُمْ ذِكْرًا، وَكَائِنٌ عَلَيْكُمْ وِزْرًا، فَاتَّبِعُوا الْقُرْآنَ وَلَا يَتْبَعْكُمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعِ الْقُرْآنَ يَهْبِطْ بِهِ عَلَىٰ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ يَتْبَعْهُ الْقُرْآنُ يُزَخَّ فِي قَفَاهُ فَيَقْذِفْهُ فِي جَهَنَّمَ»(١).

فقَوْله: «وَلَا يتبعنَّكم الْقُرْآن» بعض النَّاس يحملهُ علىٰ معنىٰ: لَا يطلبنكم الْقُرْآن بتضييعكم إيّاه، كما يطْلب الرجلُ صاحبه بالتبِعة. قال أبو عبيد: وهذا معنىٰ حَسَنٌ يصدّقه الحديث الآخر: «إن هذا القرآن شافع مشفَّع، ومَاحِل مصدَّق»(٢)، فجعله يمحل بصاحِبِهِ إذا لم يتّبع ما فِيهِ. والماحلُ: السَّاعِي.

وفيه قولٌ آخر هو أحسن من هذا، قوله: "ولا يتَّبعنكم القرآن" يقول: لا تَدَعُوا العَمَل به فتكونوا قد جعلتموه وَرَاء ظهوركم، وهو أشدّ مُوَافقَة للمعنىٰ الأول؛ لِأَنَّه إذا اتبعهُ كان بين يَدَيْهِ، وإذا خالفه كان خَلْفه(٣).

---

(١) مصنّف ابن أبي شيبة ٦/ ١٢٦، حديث رقم: (٣٠٠١٤)، شعب الإيمان للبيهقي٣/ ٣٩٦، حديث رقم: (١٨٦٦).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٦/ ١٣٠، برقم: (٣٠٠٥٢)، صحيح ابن حبان ١/ ٣٣٢، برقم: (١٢٤).

(٣) ينظر: غريب الحديث، للقاسم بن سلام ٤/ ١٧٣، (تبع)، تهذيب اللغة، للأزهري ٢/ ١٧٠، باب: العين والتاء مع الباء.

١٠ - قد تكون قراءة التشديد بمعنىٰ (يطالبونكم)، من قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴾ [الإسراء: ٦٩]، أَي: مطالبًا، وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾[البقرة: ١٧٨] (١).

وهنا يكون الخطاب للمؤمنين، وضمير الغيبة للكفار، والمعنىٰ: أنهم لا يطالبونكم بدعوتهم إلىٰ الهدىٰ والرشاد، ولا يطالبونكم بنَفْعِهم، بعد أن استقرّ في أنفسهم أنهم أهدىٰ منكم سبيلاً، وأنهم لا ينفعونكم، ولا هم ينتفعون منكم. وقد يشهد لهذا استعمال القرآن هنا لفظ «عَلَىٰ» والتي هي بمعنىٰ العِنْدية في قوله تعالىٰ بعدها: (سواءٌ عليكم)، أي: سواء عندهم(٢).

وقد يكون الخطاب للمشركين، وضمير الغيبة للأصنام، والمعنىٰ علىٰ هذه القراءة: وإن تدعوا الأصنامَ أيها المشركون إلىٰ أن يرشدوكم إلىٰ ما تُحصِّلون به المطالبَ، أو تَنْجُون به عن المكاره لا يَتَّبعوكم إلىٰ مرادكم، ولا يُجيبوكم، ولا يقدرون علىٰ ذلك(٣).

١١ - يحتمل أن يكون المعنىٰ علىٰ قراءة التخفيف أنهم رُبّما اتّبعوكم في بعض الأمور ولم يتْبعوكم في أغلبها، أما قراءة التشديد فتفيد أنهم لا يتَّبعوكم مطلقًا في أي شيء، مبالغة في عدم الاتِّباع.

١٢ - وفي موضع الشعراء أيضًا: يُلمَحُ من قراءة التخفيف أن الغاوين يتْبعون الشعراء، ويسيرون في إثرهم، إما لأنهم مغَرَّرٌ بهم، أو لعلّهم ينالهم بعض النوال الذي يناله الشعراء.

---

(١) والمعنىٰ: علىٰ صاحب الدَّم اتّباع بالمعروف، أي: المطالبة بالدِية، وعلىٰ القاتل أَدَاء إليه بإحسان. ينظر: تهذيب اللغة ٢/ ١٦٨.

(٢) ينظر: تفسير المنار ٩/ ٤٣٨، التحرير والتنوير ٨/ ٣٩١.

(٣) ينظر: روح المعاني ٩/ ١٤٣.

وأما قراءة التشديد فتفيد أن الغاوين يتّبعون الشعراء قلبًا وقالبًا، يفعلون فعلهم، ويسلكون مسلكهم، ويتّبعون طريقتهم، ويسيرون علىٰ نهجهم وأهوائهم، حيث كانوا يقومون برواية الشعر الذي يقوله الشعراء في هجاء النبي ﷺ، ومن معه من المسلمين(١).

١٣ – ذكر علماء التصريف أنّ (افتعلَ) تأتي بمعنىٰ (تفاعلَ)(٢)، ومن معاني (تفاعلَ) حصول الشيء تدريجيًا، كـ: تزايَدَ النيلُ، وتواردت الإبل: أي: حصلت الزيادة بالتدريج شيئًا فشيئًا(٣).

وكذا ذكروا أنّ (افتعلَ) تأتي بمعنىٰ (تفعّلَ)(٤)، ومن معاني (تفعّلَ) التدريج أيضًا، كـ: تجرَّعتُ الماء، وتحفَّزت العلم: أي: شربتُ الماء جرْعة بعد أخرىٰ، وحفِظت العلم مسألة بعد أخرىٰ(٥). وعليه قد يكون المعنىٰ في قراءة التخفيف: لا يَتْبَعوكم جملة وكليّةً، والمعنىٰ في قراءة التشديد لا يَتَّبِعوكم بتدرُّج شيئًا فشيئًا.

١٤ – وأخيراً.. يحتمل أن يكون المعنىٰ في قراءة التشديد: لا يقتدوا بكم، وفي قراءة التخفيف: لا يقتفوا آثاركم ولا يتْبَعوها(٦). والله أعلم.

وبذلك تكون كل قراءة من القراءتين قد أفادت معنىً مختلفًا عما أفادته القراءة الأخرىٰ، مع عدم الاختلاف أو التضاد، وكأن كلًّا منهما قد

---

(١) ينظر: الإعجاز في القراءات القرآنية والجمع بينها: ٨٤٥.

(٢) ينظر: همع الهوامع ٣/ ٣٠٦.

(٣) ينظر: شذا العرف: ٣٤.

(٤) ينظر: همع الهوامع ٣/ ٣٠٦.

(٥) ينظر: شذا العرف: ٣٤.

(٦) ينظر: اللآلئ الفريدة ٢/ ٨٣٤، البحر المحيط ٥/ ٢٤٨، ٢٤٩، الدر المصون ٥/ ٥٣٧، لطائف الإشارات ٥/ ٢٢٣١، حدائق الروح والريحان ١٠/ ٢٨٧.

حلَّتْ محل آية مستقلة، وهذا إعجاز قرآنيّ دلّ عليه ذلك الإيجاز مع عدم الإخلال.

المبحث الثاني:
التبادل الصيغي في الفعل (اتّخذ)

وفيه موضع واحد هو: ﴿...قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف:٧٧].

١ -القراءات المتواترة الواردة فيه:

قرأ ابنُ كثير وأبو عمرو ويعقوب: (لَتَخِذْتَ) بتخفيف التاء وكسر الخاء. وقرأ الباقون بتشديد التاء وفتح الخاء [(١)].

٢ -التحليل اللغوي:

ذهب كثيرٌ من اللغويين[(٢)] إلىٰ أن القراءتين لغتان بمعنىٰ واحد[(٣)]، بل إن الفعلين: «اتَّخَذَ – تَخِذَ» في الأصل من مادة واحدة، هي «أخذ».

(١) ينظر: غاية الاختصار ٢/ ٥٥٧، النشر ٢/ ٣١٤.

(٢) وكذا كثيرٌ من المفسرين. ينظر علىٰ سبيل المثال لا الحصر: جامع البيان، للطبريّ ١٨/ ٨١، بحر العلوم، للسمرقندي ٢/ ٣٥٧، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي١٧/ ٢٢٤، غرائب التفسير وعجائب التأويل، للكرماني ١/ ٦٧٣، معالم التنزيل في تفسير القرآن ٣/ ٢٠٩، روح المعاني للألوسي ١٦/ ٧.

(٣) ينظر: تاج العروس، (فصل الهمزة) ٥/ ٣٤٨. ويفهم من كلام أبي علي الفارسي أن القراءتين بمعنىٰ واحد، حيث نقل قول أبي زيد: اتَّخذنا مالا فنحن نتَّخِذه اتِّخاذا، وتَخِذتُ أَتْخَذ تَخْذاً. ينظر: الحجة للفارسيّ ٢/ ٧٠.

قال الخليلُ: "... ويقال الاتِّخاذ من تَخِذَ يَتْخَذُ تَخَذاً، وتَخِذْتُ مالاً أي: كَسَبْتُه، أُلزِمَتِ التاءَ كأنها أصلية، والأصل من الأَخْذ إن شاء الله تعالىٰ، وفي القرآن: ﴿لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ..." (١).

وقال الأزهريُّ: "يُقال: اتَّخَذَ فلانٌ مالَ الله دُوَلاً يَتَّخِذُه اتِّخَاذاً، وتَخِذَ يَتْخَذُ تَخَذاً: بمَعْناه ... أُلْزِمَتِ التاءُ الحرفَ كأنها أصليَّةٌ، كما قال الله جلّ وعزّ: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[الْكَهْف: ٧٧](٢).

وقال ابنُ منظور: "... والاتِّخاذ: افتعالٌ أيضًا من الأَخْذ(٣)، إلا أنه أُدغم بعد تَلْيين الهمزة وإبدال التاءِ، ثم لَمَّا كَثُرَ استعمالُهُ علىٰ لفظ الِافْتِعَالِ تَوَهَّمُوا أن التاء أصلية فَبَنَوْا منه فَعِلَ يَفْعَلُ، قالوا: تَخِذَ يَتْخَذ، وقُرِئَ: ﴿لَتَخِذْتَ﴾(٤).

وقال في موضع آخر: "... الأصل: ائْتَلَهَ يَأْتَلِهُ، فأُدغمت الْوَاوُ فِي التَّاءِ فَقِيلَ: اتَّلَهَ يَتَّلِهُ، ثُمَّ حُذِفَتِ التَّاءُ فَقِيلَ: تلِهَ يَتْلَهُ، كَمَا قَالُوا: تَخِذَ يَتْخَذُ وتَقِيَ يَتْقِي، والأَصل فِيهِمَا: اتَّخَذَ يَتَّخِذ، واتَّقَىٰ يتَّقي"(٥). فواضح من هذا النص أنه جعل «تَخِذَ» مأخوذ من «اتَّخَذَ»، والأصل فيهما هو الفعل «أَخَذَ».

وجاء في تاج العروس: "... «اتَّخَذَ» مِن تَخِذَ يَتْخَذُ، اجْتمع فِيهِ التاءُ الأصليُّ وتاءُ الافتعال فأُدْغما، وهذا قولٌ حَسَنٌ، لكنِ الأكثرون علىٰ أنّ أصله من الأَخْذ، وأن الكلمة مهموزةٌ، ولا يخلو هذا من خَلَلٍ، لأنه لو كان

---

(١) العين ٤/ ٢٩٨. وينظر أيضًا: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري ٢/ ٥٥٩، شرح كتاب سيبويه، للسيرافي ٥/ ٤٦٨، مختار الصحاح للرازي: ١٤.

(٢) تهذيب اللغة ٧/ ٢١٨.

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني: ٦٧.

(٤) لسان العرب، (فصل الهمزة) ٣/ ٤٧٤. وينظر: تهذيب اللغة للأزهري ٧/ ٢١٨، مقاييس اللغة لابن فارس ١/ ٣٤١.

(٥) لسان العرب،(فصل التاء المثناة فوقها)، ١٣/ ٤٨١.

كذلك لقالوا في ماضيه «ائْتَخَذَ» بهمزتين، علىٰ قياسِ ائْتَمر وائْتَمَنَ. ومعنىٰ الأَخْذِ والتَّخْذِ واحدٌ، وهو حَوْزُ الشيْءِ وتحصيلُه ... والاتِّخاذُ يُعَدَّىٰ إلىٰ مفعولين ويُجْرَىٰ مُجْرَىٰ الجَعْلِ"(١).

بينما ذهب آخرون إلىٰ أن الفعلين: «اتَّخَذَ – تَخِذَ» ليسا بمعنىٰ واحد، وليس هما من الأصل «أَخَذَ»، فقال ابنُ سِيده: "ذهب بعضُهم إلىٰ أن تاء «اتّخَذْتَ» بدل من الياء المبدلة من الهمزة في «أَخذ»، وليس كذلك؛ لِأَن تلك ليست في حكم البَدَل، وإنّما تبدل التاء من الياء الْمَحْضَة كاتّسر واتّأس، وإنما «اتّخذ» افتَعل من «تخِذ»... وعليه قراءَة بعضهم: ﴿لَتَخِذْتَ﴾(٢).

وقال ابنُ الأثير: "في حديث موسىٰ والخضر عليهما السلام ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، يقال: تَخِذَ يَتْخَذُ، بوزْن سَمِع يَسْمَع، مِثْلُ أخذ يأخذ، وقُرِئَ: ﴿لَتَخِذْتَ﴾ و﴿لَتَّخَذْتَ﴾، وهو افْتَعَلَ من «تَخِذَ»، فأدغم إحدىٰ التاءين في الأخرىٰ، وليس من «أخذ» في شيء، فإن الافتعال من أخذ ائْتَخَذَ؛ لأن فاءها همزةٌ، والهمزةُ لا تُدغم في التاء. وقال الجَوهريُّ: الاتّخاذ، افتعالٌ من الأخذ ... وأهل العربية علىٰ خلاف ما قال الجوهريُّ"(٣).

ويؤكّدُ أبو عليّ الفارسيّ علىٰ أنهما ليسا من أصل واحدٍ، وعلىٰ خطأ من يقول بذلك، فيقول: "... ومن زعم أنّ «تَخِذتَ» أصله من: أخذتَ، لم يكن هذا القول بمستقيم ولا قريب منه، ولو قُلِب ذلك عليه لم يجد فصلاً، ألا ترىٰ أنّ الهمزة لم تُبدل من التاء، ولا التاء أُبدلت منها"(٤).

---

(١) تاج العروس، (فصل الهمزة) ٥/ ٣٤٨ .

(٢) المخصص ٣/ ٤٤٥ .

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (باب التاء مع الخاء)، ١/ ١٨٣. وينظر: تاج العروس، (فصل الهمزة) ٥/ ٣٤٨، (فصل التاء) ٥/ ٣٥٢.

(٤) الحجة للفارسيّ ٢/ ٧١. وإلىٰ مِثْل هذا ذهب ابنُ جني في الخصائص ٢/ ٢٨٩.

٣ -التوجيه:

كادت كلمة علماء توجيه القراءات تتفق علىٰ أن قراءة البصريَيْنِ وابنِ كثير «لَتَخِذت» جاءت علىٰ أصل هذا الفعل من غير زيادة، فهي فِعْلٌ ماضٍ علىٰ وزن «فَعِلَ- يَفْعَلُ»، من باب: عَلِمَ يَعْلَمُ، كشَرِبَ يَشْرَبُ، يقال: تَخِذَ يَتْخَذُ تَخْذاً، فالتاءُ فاءُ الفعل، مثل: تَبِعَ يَتْبَعُ[(١)]، واستشهدوا لها بقول الممزَّق العَبْديّ:

وَقَدْ تَخِذَتْ رِجْلي إلى جَنْبِ غَرْزِها ∴ نَسِيفاً، كَأُفْحُوصِ القَطاةِ المُطَرِّقِ[(٢)]

وكادت كلمتهم تتفق أيضـًا علىٰ أن قراءة الباقين «لاتَّخَذتَ» بفتح الخاء علىٰ وزن «افْتَعَلْتَ»، لكنهم افترقوا بعد ذلك فريقين، فذهب الأولُ إلىٰ أن: هذه القراءة علىٰ وزن «افتعل» من الفعل «تَخِذَ»، فالتاءُ الأولىٰ في «اتَّخَذَ» أصليةٌ هي فاء الكلمة، والتاءُ الثانية زائدةٌ، هي تاء «افتعل»، فأُدغمت التاء الأصلية في تاء الافتعال فصار «اتَّخَذَ»، والأصل تخِذ يَتْخذ[(٣)].

---

(١) ذكر الإمام الطبريُّ أن هذه القراءة لغة هذيل. ينظر: جامع البيان ١٨/ ٨١.

(٢) البيتُ منسوبٌ إلىٰ الممزّق العَبْديّ: شاس بن نهار في: الحيوان، للجاحظ ٢/ ٢٩٨، لسان العرب (فصل الفاء)، ٧/ ٦٣. **وينظر هذا التوجيه في:** الحجة لابن خالويه: ٢٢٨، ٢٢٩، الحجة للفارسي ٢/ ٦٨، الخصائص ٢/ ٢٨٩، حجة القراءات، لابن زنجلة: ٤٢٥، ٤٢٦، الكشف ٢/ ١٧٧، الموضح ٢/ ٧٩٣، إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه ٢٣٦، التبيان في إعراب القرآن، للعكبري ٢/ ٨٥٧، الإتحاف: ٣٧١.

(٣) ينظر: الحجة للفارسي ٢/ ٦٨، الخصائص ٢/ ٢٨٩، حجة ابن زنجلة: ٤٢٥، ٤٢٦، الكشف ٢/ ١٧٧، شرح الهداية، للمهدوي ٢/ ٣٩٩، غرائب التفسير وعجائب التأويل ١/ ٦٧٣، الكشاف ٢/ ٧٤٠، التبيان في إعراب القرآن ٢/ ٨٥٧، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ٢٨٩، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي ٢/ ٥٧، الإتحاف: ٣٧١، روح المعاني ١٦/ ٧، قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر: ٩٠ ،المغني في توجيه القراءات العشر، د. سالم محيسن ٢/ ٣٨٦.

وذهب الفريق الثاني إلىٰ أنّ: هذه القراءة علىٰ وزن «افتعل» من الفعل «أَخَذَ»[1]، فالفاء فيه همزةٌ، والأصل: « اِئْتَخَذَ»، ثم أُبدلت الهمزةُ ياءً؛ لسكونها وانكسار ما قبلها، فصار « اِيتَخَذَ »، ثم أبدلوا الياءَ حرفًا من جنس ما بعدها، وهو التاء، فصار « اِتْتَخَذَ»، ثم أدغموا التاء المبدَلة في تاء الافتعال، فصار « اِتَّخَذَ» [2].

وذكر المهدويُّ وجهًا ثالثًا هو: أن الأصل واو مبدلة من همزة، ثم قلبت الواو تاء وأدغمت في التاء[3].

فتحصَّلَ أنّ في « اتّخذ» ثلاثة أقوال: أحدها: التاء الأولىٰ أصل. الثاني: أنها بدل من تاء أبدلت من همزة. الثالث: أنها من واو أبدلت من همزة[4].

وأرىٰ أن الخلاف في التوجيه شكليٌّ لأن أغلب اللغويين ذهبوا إلىٰ أن «اتَّخذ» علىٰ زِنة «افتعل» من «أخذ»، بل إن «تخِذ» نفسها أصلها «أخذ» [5]، إلا أنه أُدْغِمَ بعد تَلْيينِ الهمزة وإبدالِ التاء، ثم لَمَّا كَثُر استعمالُه علىٰ لفْظِ الِافْتِعَالِ تَوَهَّموا أنَّ التاء أصليةٌ فَبَنَوْا منه فَعِلَ يَفْعَلُ فقالوا «تَخِذَ» يَتْخَذُ.

---

(١) وممن ذهب إلىٰ هذا من الطبريّ، وتبعه كثيرون. ينظر: جامع البيان ١٨/ ٨١.

(٢) ينظر: معاني القراءات لأبي منصور الأزهري ٢/ ١١٧، الحجة لابن خالويه: ٢٢٩، حجة ابن زنجلة: ٤٢٥، ٤٢٦، الكشف ٢/ ١٧٧، إعراب القراءات السبع: ٢٣٦.

(٣) ينظر: شرح الهداية ٢/ ٣٩٩.

(٤) ينظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان ١/ ٣١٨. وزاد في البحر المحيط وجهًا رابعًا نسبه إلىٰ ابن النحاس: محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر الحلبي، وهو: أنها بدل من واو أصلية، والأصل (وَخَذَ). السابق ١/ ٣١٧.

(٥) وبعض اللغويين كالزجاج فرَّقَ، فجعل أصل (تَخِذْ) من أَخَذَ، وأصل (اتَخَذ) من ائْتَخذَ. ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٠٧.

٤ -التحليل الصوتي والدلالي:

من الناحية الصوتية: الهمزةُ[١]: تعبّر عن ضغطٍ، ويتمثل هذا الضغط صوتيًّا في تكوين الهمزة بضغط الزمير أثناء خروجه من الوترين الصوتيين في الحنجرة ضغطًا يؤدي إلىٰ انطباقهما وتوقف الزمير، أو بضغط الزمير آنَ انطلاقه من الوترين عند انفتاحهما بعد إغلاق[٢].

والتاءُ: تعبِّر عن ضغطٍ دقيقٍ (يؤدي إلىٰ حبس ضعيف، أو غير شديد، وقد يؤدي إلىٰ قطع)، وتتكون صوتيًّا بالتقاء طرف اللسان (وهو دقيق) بأصول الثنايا العليا التقاءً يحبس النفَس، وهو حبسٌ ضعيفٌ لدقة نقطة الالتقاء[٣].

والخاءُ: تعبِّر عن تخلخل ونحوه في أثناء غِلَظ، أو تعبِّر عن تخلخل في جوف الشيء، أي فراغ وانسداد متواليين، وتتكون صوتيًا بارتفاع أقصىٰ اللسان حتىٰ يماسّ أقصىٰ الحنك الرخو صانعًا حاجزًا رخوًا مُتخلالًا، مع مرور هواء نَفَسِ الخاء متخللا ذلك التجمع الرخو محتكًّا به، فيتموّج جانباه لرخاوتهما، ويُسمَع صدىٰ ذلك الاحتكاك برخو يتموّج: خاءً[٤].

والذال: تعبِّر عن ثخينٍ رطْبٍ أو غض (محتوىٰ) ينفذ، وتتكوّن صوتيًا بِمَدِّ طرف اللسان مستعرضًا حتىٰ يتوسط ما بين الثنايا العليا والسفلىٰ، فيبرز قليلا، ويخرج صوتها مجهورا، علىٰ ذلك[٥].

---

(١) وإنما أدخلتُ الهمزةَ هنا مراعاة لقول من قال من أهل اللغة والتوجيه: أن قراءة التشديد مأخوذة من الفعل (أخذَ).

(٢) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصَّل ١/ ٢٦.

(٣) المصدر السابق ١/ ٢٧.

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصَّل ١/ ٢٨، ٥١٨.

(٥) المصدر السابق ١/ ٢٩.

٥ - العلاقة، والفرق بين القراءتين :

يميل الباحث إلىٰ القول بأن القراءتين ليستا بمعنىٰ واحد، بغض النظر عن قول من قال إن كليهما مأخوذ من الأصل «أخذ»، أو أن كلاً منهما أصل بنفسه، وإلىٰ أنّ بين هاتين القراءتين عدداً من العلاقات والفروق، ويتجلّىٰ بيانها فيما يأتي:

١ - قراءةُ التخفيف ﴿لَتَخِذْتَ﴾ من الفعل «تَخِذَ» علىٰ زنة «فَعِلَ» فيها إشارة إلىٰ قناعة سيدنا موسىٰ عليه السلام بأن يطلب الخَضِر عليه السلام أيّ أجر من أهل القرية، سواء كان هذا الأجر صغيراً أو كبيراً، فأيُّ مقابل يعطونهم إياه علىٰ بناء الجدار فليس علىٰ الخَضِر أن يَرُدَّه، فيكفي ما يشترون به طعامًا، فهما في الأصل ما طلبا إلا الطعام والضيافة، رُويَ عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كان قولُ موسىٰ في السفينة والغلام لربِّه، وكان قوله في الجدار لنفسه؛ لطلب شيء من الدنيا"(١). ومما يمكن أن يرجِّح هذا المعنىٰ ويؤيده التنكير في كلمة ﴿أَجْرًا﴾ من قوله تعالىٰ: ﴿...لَتَخِذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، وأنها في حرف أُبيّ بن كعب: «لَوْ شِئْتَ لَأُوتِيتَ عَلَيْهِ أَجْراً»(٢).

أما قراءة التشديد ﴿لَتَّخَذْتَ﴾ من الفعل «اتَّخَذَ» علىٰ زِنة «افتعل» ففيها إشارة إلىٰ أمرين:

أولهما: قناعة موسىٰ عليه السلام أنه ينبغي علىٰ الخَضِر عليه السلام أن يطلب أجراً علىٰ بناء الجدار، وأن يكون هذا الأجر كبيراً يتناسب مع حجم الجدار وضخامته، ويتناسب كذلك مع مقدار دناءة وعدم مروءة أهل هذه القرية

(١) ينظر: زاد المسير ٣/ ١٠٢.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية ٣/ ٥٣٤.

الذين أَبَوْا أن يضيِّفوهما[١]، فكأنَّ في قراءة التشديد ﴿ لَتَّخَذْتَ﴾ نعتًا محذوفًا، والتقدير: أجراً كبيراً، أو عظيمًا، أو كثيراً، أو ما شابه ذلك، يشهد لذلك ما ذكره أبو حيان أن صيغة "افتعل" (التي جاءت عليها قراءة التشديد) فيها معنىٰ الكثرة[٢].

ويجوز أن يكون ذلك المحذوفُ المقدَّرُ «كبيراً، أو عظيمًا» مفعولاً ثانيًا للفعل «اتَّخَذَ»، الذي يصحّ أن يتعدَّىٰ إلىٰ مفعولين، وليس شيءٌ من هذا في قراءة التخفيف المأخوذة من الفعل «تَخِذَ»، الذي لا يتعدّىٰ إلا إلىٰ مفعول واحد، قال أبو عليّ الفارسيّ: "ولم أعلم «تَخِذْتُ» تعدَّىٰ إلا إلىٰ مفعول واحد، فأما «اتَّخذتُ» فإنه في التعدِّي علىٰ ضربين: أحدهما: أن يتعدىٰ إلىٰ مفعول واحد. والآخر: أن يتعدىٰ إلىٰ مفعولين ..."[٣].

وثَـمَّةَ شـيء آخـر يـدل عـلىٰ ما تقدَّمَ، ألا وهـو التنـكير الحـاصل في كلـمة ﴿أَجْرًا﴾، حيـث إن هــذا التنكــير للتكــثير والتعظــيم[٤]،

---

(١) قال ﷺ :"رحمةُ الله علينا وعلىٰ موسىٰ، لولا أنه عجَّل لرأىٰ العَجَبَ، ولكنه أخذته من صاحبه ذَمَامةٌ قال: (إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا)، فلو صبر لرأىٰ العجب". صحيح مسلم ٤/ ١٨٥٠، كتاب: الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، حديث: ٢٣٨٠، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لمحمد الأمين الهرريّ ١٧/ ٩.

(٢) ينظر: ارتشاف الضرب ١/ ١٧٥.

(٣) ينظر: الحجة للفارسي ٢/ ٦٨، وبصائر ذوي التمييز ٢/ ٥٧، وتاج العروس (فصل الهمزة) ٥/ ٣٤٨.

(٤) والتنكيرُ يأتي في مواضع كثيرة من القرآن لإفادة التكثير والتعظيم. ينظر: مفاتيح الغيب ٢٦/ ٢٦٩، ٢٨٩، ٢٩٠، إرشاد العقل السليم ٧/ ٢٦٠، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٥/ ٥٣٩، روح المعاني ٣٠/ ١٤٢، فتح القدير ٣/ ٩٠، وغيرها.

أي: أجراً عظيمًا، أو ضخمًا، أو كبيراً.

ثم إن طبيعة شخصية سيدنا موسىٰ عليه السلام القوية والصارمة والثورية[1] التي يصوِّرها عدم صبره علىٰ ما فعل الخَضِر من خَرْقِ السفينة، وقَتْلِ الغلام[2]، وما حكاه القرآن الكريم عنه من أَخْذِهِ بِلِحْيَةِ سيدنا هارون عليه السلام ورأسه في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ... ﴾ [طه:٩٤]، وقوله: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ...﴾ [الأعراف: ١٥٠] ربما تعضِّد هذا المَنْحَىٰ، وهو قناعة سيدنا موسىٰ عليه السلام بأهمية وضرورة أن يكون الأجر كبيراً.

ورُبّما يستأنس لما تقدّم – أيضًا- بما ذكره المفسرون عن حجم ذلك الجدار وضخامته، «قيل: كان طوله خمسمائة ذراع، وقامته مائتي ذراع، وعرضه أربعين ذراعًا، وكان طول الجدار في السماء مائة ذراع، وقيل أعظم من ذلك، والخضِر قد نقَضَهُ وبناه»[3]، فَبِما أن الجدار كان كبيراً،

---

(١) من قولهم: "أَثارَ الأَرضَ: قَلَبَها علىٰ الحَبِّ"، و"ثَوَّرَ الأَمْرَ": بَحَثَهُ، واستقصَىٰ مَضامِينَهُ. ينظر: تاج العروس (فصل الثاء) ٦/ ١٥٦، معجم الصواب اللغوي ١/ ٢٠٧.

(٢) ورد في الحديث الصحيح أنّ النبيّ ﷺ وصفهم بأنهم: (كانوا أهل قرية لئامًا). ينظر: صحيح مسلم ٤/ ١٨٥٠، كتاب: الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، حديث: ٢٣٨٠.

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري ١٨/ ٦٧، تأويلات أهل السنة، للماتريدي ٧/ ١٩٩، الكشف والبيان، ١٧/ ٢١٨، الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٧، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي علىٰ الكشاف) ٩/ ٥٣١، فتح الباري، لابن حجر ٨/ ٤٢٠، حدائق الروح والريحان ١٧/ ٩.

والعمل فيه كان شاقًا، فالمناسب من وجهة نظر سيدنا موسىٰ عليه السلام أن يطلب ويتَّخِذ الخَضِر عليه أجراً كبيراً، وهذا ما أَلْمَحَتْ له قراءة التشديد ﴿لَتَّخَذْتَ﴾ بصيغة الافتعال، لأن هذه الصيغة من معانيها: المبالغة والعمل الزائد، أو المبالغة في معنىٰ الفعل(١).

وثانيهما: الإشارة من سيدنا موسىٰ عليه السلام أن له في هذا الأجر المستحق نصيبًا، وأنه مشارك للخَضِر فيه؛ لأن صيغة «افتعل» من معانيها: المشاركة نحو: اختلف، اقتتل، اصطحب، اجتمع، اصطلح، اصطدم، اقتسم، فقراءةُ التشديد تشير إلىٰ رؤية سيدنا موسىٰ عليه السلام وقناعته بأنه مشارك وشريكٌ للخَضِر في هذا الأجر المستَحَق، كما كان مشاركًا وشريكًا له في بناء الجدار.

ومما يشهد لهذا أيضًا ما سبق نقْله من أقوالٍ لِلُغويين تفيد أن عدداً كبيراً منهم يرىٰ أن أصل «اتَّخَذ» «ائْتَخَذ»، وموضع الشاهد هنا قولُ صاحب اللسان - مستدلاً علىٰ أنّ "التَّزَقُّفَ" بمعنىٰ "الاختطاف والاستلاب"-: "وفي حديث ابن الزُّبيرِ: أنه قال لَمَّا اصْطَفَّ الصفّانِ يومَ الجَمَلِ: كان الأَشتر زَقَفَني(٢) منهم فائْتَخَذْنا فَوَقَعْنا إلىٰ الأرض، فقلتُ: اقْتُلُوني ومالِكًا، أَي: اخْتَطَفَني واسْتَلَبَني مِن بينهم؛ والائْتِخاذُ: افْتِعالٌ من الأَخذ بمعنىٰ التفاعُل، أي: أَخَذَ كلُّ واحدٍ منّا صاحِبَه"(٣).

---

(١) ينظر: شذا العرف: ٣٣.

(٢) زَقَفَ: من الازدقاف: بمعنىٰ الاختطاف، بمنزلة الخلسة من الاختلاس. الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٢/ ١١٨.

(٣) ومما يشهد لهذا أيضًا ما سبق نقْله من أقوالٍ للغويين تفيد أن عدداً كبيراً منهم يرىٰ أن أصل «اتَّخَذ» «ائْتَخَذ»، وموضع الشاهد هنا قول صاحب اللسان- مستدلاً علىٰ أن "التَّزَقُّفَ" بمعنىٰ "الاختطاف والاستلاب"-: "وفي حديث ابن الزُّبَيْرِ: أنه=

فقوله: "والائْتِخاذُ: افْتِعالٌ مِن الأَخذ بمعنىٰ التفاعُل". فيه دلالة علىٰ معنىٰ المشاركة والتشارك.

وتعبير القرآن الكريم بصيغة التثنية في سياق القصة كلها في قوله: ﴿فَٱنطَلَقَا ... إِذَا رَكِبَا ... لَقِيَا غُلَٰمًا ... إِذَآ أَتَيَآ ... ٱسْتَطْعَمَآ ... فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ يشير إلىٰ أنهما كانا متلازمين مشتركَيْنِ في كل هذه الأفعال، فإذا ما عبَّر القرآن الكريم بصيغة الإفراد في قوله: ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ فهذا يعنىٰ – والله أعلم– اشتراكهما أيضًا في هذا الفعل، بدلالة سياق القصة، ثم دلالة أن هذا العمل الشاقّ يُستبعد –عقلاً– أن يقوم به الخضر وحده دون مساعدة موسىٰ له فيه، وجاء في كلام بعض المفسرين أن الخضر أقام الجدار بمعاونة أهل القرية له، قال الشيخ محمد أبو زهرة عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ "أي أنّ موسىٰ والعبد الصالح وَجَدَا جداراً قد تداعَىٰ للانهيار، أو آل للسقوط فأقامه مع أهلها"[1]، فقوله: "فأقامه مع أهلها" يفيد أن أهل القرية قد شاركوا في هذا العمل، وبما أنه عمل شاق، ويستغرق وقتا طويلا، وقد شارك فيه أهلُ القرية الخضِرَ، فلا يُعقل من موسىٰ أن يترك مَن هو في مقام أستاذه، ومَن سَعَىٰ إليه ليتعلم منه– وهو الخضِر– أن يقوم بهذا العمل وحده، ولا يساعده في إنجازه.

=قال لَمَّا اصْطَفَّ الصفّانِ يوْمَ الْجَمَلِ: كان الأَشتر زَقَفَني مِنْهُمْ فائْتَخَذْنا فَوَقَعْنا إلىٰ الأرض، فَقُلْتُ: اقْتُلُوني ومالِكًا، أَي: اخْتَطَفَني واسْتَلَبَني مِنْ بَيْنِهِمْ؛ والائْتِخاذُ: افْتِعالٌ مِنَ الأَخذ بِمَعْنَىٰ التفاعُل، أَي: أَخَذَ كلُ وَاحِدٍ مِنّا صاحِبَه". لسان العرب ٩/ ١٣٨. فقوله: "والائْتِخاذُ: افْتِعالٌ مِنَ الأَخذ بِمَعْنَىٰ التفاعُل". فيه معنىٰ المشاركة والتشارك.

(١) زهرة التفاسير ٩/ ٤٥٦٦.

ولا يَرِدُ علىٰ هذا القول أنّ القرآن الكريم قد عبّر بصيغة الإفراد في فِعْلَيْ الحادثتين السابقتين وهما: خَرْق السفينة، وقَتْل الغلام، فقال: ﴿خَرَقَهَا- فَقَتَلَهُۥ﴾ بصيغة الإفراد؛ لأن مثل هذين الفعلين الجانبُ الظاهريُّ فيهما، والمتبادَر إلىٰ الذهن منهما، هو جانب الشرّ والضرر، فلا شك أن خرْق سفينة في وسط البحر مَظِنّة تعرضها للغرق، وكذا قتْل وإزهاق نفسٍ بشريةٍ بغير ذنب في ظاهر كل منهما شرٌّ متحقق، وضررٌ متيقَّن، فغير مستبعَدٍ ألا يشترك موسىٰ عليه السلام في فعل أيٍّ منهما، إضافة إلىٰ عدم استغراق كليهما وقتًا يذكر[1]، وهذا بخلاف بناء الجدار، فهو في ظاهره خير وإحسان إلىٰ أهل تلك القرية، ووجه اعتراض موسىٰ عليه السلام إنما كان علىٰ مقابلة لُؤْم أهل هذه القرية بهذا الإحسان، إضافة إلىٰ استغراق بناء هذا الجدار وقتًا طويلا عقْلاً؛ لذا يفترض عقْلاً أن يكون سيدنا موسىٰ عليه السلام قد شارك في بناء هذا الجدار، وإن لم يكن مقتنعًا بذلك من داخله، فجاءت قراءة التشديد لتشير إلىٰ هذا[2].

٢ - يمكن أن نلمح من هاتين القراءتين معنىً آخر، هو أن قراءة التخفيف ﴿لَتَخِذْتَ﴾ تفيد أن موسىٰ عليه السلام طلب من الخَضِر عليه السلام وعرض

(١) وورد في الحديث أن الخضِر فاجَأَ الجميعَ بخَرْق السفينة، قال ﷺ: "فلما ركبا في السفينة لم يَفْجَأْ إلا والخَضِرُ قد قَلَعَ لَوْحًا من ألواح السفينة بالقدوم". صحيح البخاري ٦/ ٨٩، باب: "وإذ قال موسىٰ لفتاه لا أبرح حتىٰ أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا"، حديث رقم: ٤٧٢٥.

(٢) وربما يكون أُسند الفعل "فأقامه" في الآية الخضر عليه السلام وحده لأنه هو الفاعل الحقيقي، وموسىٰ عليه السلام كان فقط مساعداً ومعاونًا، فنُسب الفعل إلىٰ الخضر وحده، وربما يكون من باب المجاز علىٰ حدّ قولهم: بنىٰ الأمير المدينة، أي أمر ببنائها. والله أعلم.

عليه أن يطلب من أهل القرية مقابل بنائه الجدار. وقراءةَ التشديد ﴿لَتَّخَذْتَ﴾ تفيد أن موسىٰ حرَّضَ الخضِر وأَلَحَّ عليه وبالغ في تحريضه علىٰ طلب المقابل، بقرينة التشديد الحاصل في حرف التاء «لاتَّخَذت»، فاستعمال هذه الصيغة هنا فيه إشارة إلىٰ أن موسىٰ عليه السلام قال ذلك تحريضاً للخضِر، وحثّاً له علىٰ أَخْذ الجُعل - الأجر - علىٰ فعله، لإنفاقه في ثمن الطعام والشراب وسائر مهام المعيشة(١).

ويعضّد ما سبق أن بناء صيغة (افتعل) فيه معنىٰ: الاجتهاد والمبالغة(٢)، وزيادة المبنىٰ تدل علىٰ زيادة المعنىٰ(٣).

ورُبّما يكون ذلك التحريض والإلحاح والمبالغة فيه من سيدنا موسىٰ عليه السلام قد مَثّلَ ضغطاً ما علىٰ سيدنا الخضر عليه السلام ليُقنعه بأَخْذِ أو طلب ذلك الأجر، وهذا الضغط يشير إليه حرف التاء، وتكرار الطلب من موسىٰ والإلحاح منه يُشير إليه تكرار حرف التاء؛ وذلك لأن حرف التاء صوتياً: "يعبِّر عن ضغطٍ دقيقٍ، يؤدي إلىٰ حبس ضعيف، أو غير شديد، وقد يؤدي إلىٰ قطع"(٤).

وقد يزداد تصوّرُ هذا الضغط حال إضافة صوت الهَمزة (الألف) في الفعل (اتّخذ) وإن لم يُلْفَظْ بها حالة الوصل، لكنها موجودة في تكوين الفعل

(١) ينظر: البحر المديد، لابن عجيبة ٣/ ٢٩٤، روح المعاني ١٦/ ٧، حدائق الروح والريحان ١٧/ ١٠.

(٢) ينظر: الكتاب ٤/ ٧٥، ٧٦.

(٣) ينظر: الكتاب ٤/ ٦٤، المحتسب ٢/ ٢١٠، روح المعاني ١/ ٥٩، ٦١، ١٧/ ٢١، ٢٩/ ١٥٥.

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل ١/ ٢٧.

(اتّخذ) وأصلٌ من أصوله[١]، والهمزةُ أيضًا صوتيًا تعبّر عن ضغطٍ، وتتكوّن بضغط الزمير أثناء خروجه من الوترين الصوتيين في الحنجرة ضغطًا يؤدي إلىٰ انطباقهما وتوقف الزمير[٢].

ولعل سيدنا موسىٰ عليه السلام لما رأىٰ عدم اقتناع سيدنا الخَضِر بما عرضه عليه من أن يطلب الأجرةَ والمقابل علىٰ بناء الجدار المستفاد من قراءة التخفيف، جاءت قراءة التشديد لتفيد مبالغة سيدنا موسىٰ عليه السلام وتكراره وإلحاحه علىٰ الخَضِر في طلب الأجرة، فالقراءتان تصوِّران الحالةَ والجوَّ الذي دار فيه ذلك الحوار بين موسىٰ والخضر عليهما السلام، فكأن سيدنا موسىٰ عليه السلام لما رأىٰ بادئ الأمر عدم اقتناع الخَضِر بما عرضه عليه من أَخْذ الأجر علىٰ فعله، اضطر إلىٰ التكرار والإلحاح والمبالغة في طلبه الاتّخاذ، وهو المستفاد من قراءة التشديد.

٣ - يضاف إلىٰ ما تقدم: أن قراءة التشديد ﴿لَاتَّخَذْتَ﴾ فيها إشارة أيضًا إلىٰ ترجيح القول بأن الخضر عليه السلام هدم ذلك الجدار العظيم ثم بناه، حيث ذكر المفسرون قولين في هذه المسألة، وأسند الإمامُ الطبريُّ القول بأنه: "هَدَمَهُ ثم قعد يبنيه" إلىٰ سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما، والقولَ بأن الخضِر: "رفع الجدار بيده، أو أشار إليه فاستقام" إلىٰ سعيد بن جبير، ثم قال- رحمه الله-: "والصوابُ من القول في ذلك أن يُقال: إن الله عزّ ذكره أخبر أن صاحبَ موسىٰ وموسىٰ وجَدَا جدارًا يريد أن ينقضّ فأقامه صاحبُ موسىٰ،

(١) لأن "اتّخذَ" علىٰ زِنة "افتعل"، فالهمزة (الألف) تقابل ألف افتعل في الميزان، باعتبار كل حرف يقابل حرفًا، ولا أعني مراعاة الحروف المجردة وعدم احتساب الزوائد.

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل ١/ ٢٦. أو: بضغط الزمير آنَ انطلاقه من الوترين عند انفتاحهما بعد إغلاق. المصدر السابق.

بمعنىٰ: عَدَل ميله حتىٰ عاد مستوياً. وجائزٌ أن يكون كان ذلك بإصلاحٍ بعد هدم، وجائزٌ أن يكون كان برفْعٍ منه له بيده، فاستوىٰ بقدرة الله، وزالَ عنه مَيْلُه بلطفه، ولا دلالة من كتاب الله، ولا خبر للعذر قاطع بأيّ ذلك

فهذا عدم ترجيح من شيخ المفسرين لأحد القولين، لكن يمكن أن يُلْمَح من قراءة التشديد ترجيحُ القولِ الأولِ المسنَدِ إلىٰ ابن عباس رضي الله عنهما؛ لأن الصيغة التي عليها هذه القراءة بما تفيده من معنىٰ المبالغة والتعظيم، والذي يتناسب مع مدلول هذا القول، وربما يُسْتَأْنسُ في هذا بقول الإمامِ ابنِ عطية: "واختلف المفسرون في قوله: ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ فقالت فرقةٌ: هدمه وقعد يبنيه، ووقع هذا في مصحف ابنِ مسعود، ويؤيد هذا التأويل قوله: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾؛ لأنه فعلٌ يستحق أجراً، وقال سعيد بن جبير: مسحه بيده وأقامه فقام"(٢).

٤ - كِلا القراءتين بقدر ما في كلٍّ منهما من معنىٰ الصيغة يدلّان علىٰ مقدار الإنكار الذي يتضمنه السؤال والطلب من موسىٰ عليه السلام للخضِر بأخْذ

---

(١) جامع البيان للطبري ١٨/ ٨١. وينظر: الكشف والبيان ١٧/ ٢٢٣.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٤. وينظر: تاريخ الرسل والملوك للطبري ١/ ٣٧٤. وقد جاء في كلام الطاهر ابن عاشور ما يفيد أن الخضِر قام بعملٍ، وهذا العمل كان ينبغي عليه أن يشارطهم عليه قبل البدْء فيه، حيث قال: "...وهذا اللوم يتضمن سؤالا عن سبب ترك المشارطة علىٰ إقامة الجدار عند الحاجة إلىٰ الأجر، وليس هو لومًا علىٰ مجرد إقامته مجانا". التحرير والتنوير ١٦/ ٩. وأيضًا فإن اعتراض سيدنا موسىٰ علىٰ عدم أخْذ الخضِر مقابلَ البناء يدل علىٰ أنه قام بعمل معلوم استحق عليه الأجر، قال ابنُ بطال: "قال المهلب: إنما جاز الاستئجار عليه لقول موسىٰ: "لو شئت لتخذت عليه أجراً"، والأجر لا يُتخذ إلا علىٰ عمل معلوم". شرح صحيح البخاري لابن بطال ٦/ ٣٩٢.

الأجر علىٰ صنيعه، فقراءة التخفيف ﴿لَتَخِذْتَ﴾ فيها دِلالة علىٰ أن مقدار الإنكار الذي وجده سيدنا موسىٰ في نفسه عندما قابل الخضِرُ عليه السلام صنيع أهل تلك القرية اللئام ببناء ذلك الجدار العظيم- كان أقلّ من المقدار الذي تُصوِّره قراءة التشديد (لاتَّخذت) بما فيها من معنىٰ الافتعال، يقول الإمام ابن عطية: "إنّ السؤال أقلّ وجوه الاعتراضات، فالإنكار والتخطئة أعظم منه، وقوله: ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ وإن لم يكن سؤالا ففي ضِمْنه الإنكار لفعله، والقول بتصويب أخْذ الأجر، وفي ذلك تخطئة ترك الأجر"(١).

٥ – قد تكون كل قراءة من القراءتين تمثِّلُ جانبًا زمنيًا من جوانب هذه القصة، فالتخفيف الحاصل في قراءة ﴿لَتَخِذْتَ﴾ ربما يستفاد منه أنّ هذا القول من موسىٰ عليه السلام كان في ابتداء بناء الجدار، أو عندما هَمَّ الخضِرُ عليه السلام أن يبنيَه، حيث رأىٰ موسىٰ عليه السلام أن هذا العمل سيكون فيه نفعٌ وستُبنىٰ عليه ثمراتٌ لأهل هذه القرية اللئام، فقال للخضر: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَخِذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾.

أما قراءة التشديد ﴿لَتَّخَذْتَ ﴾ فكانت بعد الانتهاء من بنائه، عندما

(١) ينظر: المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٤. وقال الإمام البيضاويُّ: "قالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً " تحريضًا علىٰ أخذ الجُعْل لينتعشا به، أو تعريضًا بأنه فضولٌ؛ لما في "لَوْ" من النفي،كأنه لمّا رأىٰ الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه". أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ٢٨٩، التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جُزَيّ ١/ ٤٧٢، إرشاد العقل السليم ٥/ ٢٣٧.

رأىٰ موسىٰ عليه السلام الجدارَ أمامه منتصبًا قائمًا عظيمًا، وقد استَغرق وقتًا، وبُذِلَ فيه جهدٌ، فقال: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[1]. والله أعلم.

المبحث الثالث
التبادل الصيغي في الفعل (خطف)

وفيه موضعٌ واحدٌ، هو قوله تعالىٰ: ﴿...فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ...﴾ [الحج:٣١].

١ -القراءات المتواترة الواردة فيه:

قرأ المدنيان بفتح الخاء وتشديد الطاء ﴿فَتَخَطَّفُهُ﴾. وقرأ الباقون بإسكان الخاء وتخفيف الطاء ﴿فَتَخْطَفُهُ﴾[2].

٢ -التحليل اللغوي:

عامةُ اللغويين[3] علىٰ أن القراءتين لغتان بمعنىٰ واحد، ولا فرق بينهما.

قال الخليلُ: «الخَطْفُ: الأَخْذُ في الاستلاب، وسيفٌ يخطَفُ الرأس، ونارٌ مُخطَّفُ الضريبة، قال: "يُخَطَّفُ خَزّان الشَّرَبّة بالضُّحىٰ"[4] ...

---

(١) ما ذكرته في هذه الفقرة (رقم: ٥) أَفَدتُّه من أستاذي الدكتور عبد الحكم سلامة- حفظه الله-، أثناء حواري مع فضيلته عن ثمرات هاتين القراءتين. فجزاه الله خيراً.

(٢) ينظر: غاية الاختصار ٢/ ٥٧٨، النشر ٢/ ٣٢٦.

(٣) وهو مذهب عددٌ من المفسرين أيضًا. ينظر علىٰ سبيل المثال لا الحصر: الكشف والبيان ١٨/ ٣٥٥، معالم التنزيل ٣/ ٣٣٩.

(٤) هذا صدر بيت لامرئ القيس يَصِفُ عُقابًا، وعجزه: (... وَقد حَجَرتْ مِنْهَا ثَعالِبُ أَوْرالِ). ينظر: المذكر والمؤنث، لأبي بكر الأنباري ١/ ٧٤، المخصص ٢/ ٢٩٠، تاج العروس (فصل الواو) ١٥/ ٧٧٤. و"خزّان" جمع "خَزز" بخاء وزاءين معجمات كصَرَد، وهو: الذكر من الأرانب، والشَّرَبّةُ: بشدّ الموحدة: عَلَمٌ علىٰ موضع، وجَحَرتَ: دخلت في جحرها. ينظر: شرح كفاية المتحفظ تحرير الرواية في تقرير الكفاية، محمد بن الطيب الفاسي: ٣٤٥.

وخَطّفَ يخطِفُ، وخَطِفَ يخطَفُ... وكان الحسن يقرأ: «إِلَّا مَنْ خَطَّفَ الْخَطْفَةَ» علىٰ تأويل: اختَطَفَ اختِطافةً، جعل المصدر علىٰ بناء خَطِفَ يخطَفُ خَطْفةً كما تقول من الاختِطاف اختِطافةً»(١).

فالمفهومُ من كلام الخليل أنهما بمعنىٰ واحد؛ لأنه لم يفرّق بين «يخطَفُ الرأس، ويُخَطَّفُ خزان، ومُخطَّفُ الضريبة»، وأصلُ «يُخَطَّفُ" يختطف» علىٰ زنة «يفتعلُ»، وأصلُ «مُخَطَّفُ» «مُخْتطِفُ» علىٰ «مفْتَعِلُ»، ثم إن كلامه في بيان قراءة الحسن يفيد ذلك.

وقال سيبويه: "وقالوا: قرأتُ واقترأتُ، يريدون شيئًا واحداً، كما قالوا: عَلَاه واستعلاه، ومثله خَطَفَ واخْتَطَف... وكذلك قلع واقتلع، وجَذَب اجتَذَب بمعنىً واحدٍ"(٢).

وقال ابنُ سِيدَهْ: " الخَطْفُ: الأَخْذُ فِي سُرعة واستلاب، خَطِفَه، وخَطَفه، يخطِفُه، واختطفه، وتَخطّفه، وَفِي التَّنْزِيل: ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾، وَفِيه: ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ﴾، [العنكبوت: ٦٧]... قال سِيبَوَيْه: خَطَفه واختطفه، كما قالوا: نَزَعه وانتزعه"(٣).

وقال ابنُ الأثير: "الخَطْفُ: استلاب الشيء وأخذه بسرعة، يقال خطف الشيء يخطفه، واختطفه يختطفه ... ومنه حديث أُحُدٍ: «إن رأيتمونا تختطفنا الطير فلا تبرحوا» أي تستلبنا وتطير بنا، وهو مبالغة في الهلاك"(١).

---

(١) العين (باب الخاء والطاء والفاء)، ٤/ ٢٢٠. وينظر: الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية ٤/ ١٣٥٢.

(٢) الكتاب ٤/ ٧٤. ونحوه في معاني القراءات للأزهري ١/ ١٤٢.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم ٥/ ١١٨، ١١٩،تاج العروس(فصل الخاء) ١٢/ ١٧٦.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٤٩.

وكلامُ ابنِ الأثير الأخير يُفيد أن "اختطف" تزيد علىٰ "خطِف" في المعنىٰ، حيث إنها تفيد المبالغة.

وقال ابنُ منظور: "خطف: الخَطْفُ: الاسْتِلابُ، وَقِيلَ: الخَطْفُ الأَخْذُ فِي سُرْعةٍ واسْتِلابٍ ... وَفِي الْحَدِيثِ: "لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوامٌ عَنْ رفْع أَبصارِهم إِلَىٰ السَّمَاءِ فِي الصَّلَاةِ أَو لتُخْطَفَنَّ أَبصارُهم"؛ هُوَ مِنَ الخَطْف استِلابِ الشَّيْءِ وأَخْذِه بسُرعَة، وَمِنْهُ حَدِيثُ أُحُد: "إِنْ رأَيتمونا تَخْتَطِفُنا الطيرُ فَلَا تَبْرَحُوا"، أَي: تَسْتَلِبُنا وَتَطِيرُ بِنَا، وَهُوَ مُبالغة فِي الْهَلَاكِ، وخَطِفَ الشيطانُ السمْعَ واخْتَطَفَه: اسْتَرَقَه"[1].

٣ – التوجيه:

تناول علماءُ التوجيه هاتين القراءتين توجيهًا لهجيًا وصرفيًا ببيان أصلهما، ووزنهما، وتصريفهما، دون التطرُّق للحديث بشكل صريح عن اتحاد المعنىٰ أو اختلافه علىٰ كلتا القراءتين.

وقد ذهب بعضهم علىٰ أن قراءة المدنيين ليست من هذا الباب "افتعل" أصلاً، وإنما هي من باب "تفعّلَ"، فهي مضارع "تَخَطَّفَ"، والأصل "فتَتَخَطَّفُهُ"، حُذفت إحدىٰ التاءين علىٰ حدّ "تَكَلّمُ"[1].

---

(١) لسان العرب (فصل الخاء) ٩/ ٧٦. وفي عدم التفريق بين "خطِفَ" و"اختطفَ" في المعنىٰ ينظر: الغريبين في القرآن والحديث، لأبي عبيد ٢/ ٥٧١، أساس البلاغة ١/ ٢٥٦، المغرب في ترتيب المعرب ١/ ٢٦١، القاموس المحيط ص: ٨٠٦، المعجم الوسيط ١/ ٢٤٤.

(١) ينظر: الحجة للفارسي ١/ ٣٩٠، الكشف ٢/ ٢٢٢، الكتاب الجامع لقراءات الأئمة العشرة بعللها ووجوهها، للفارسي نصر بن عبد العزيز ٢/ ١٩٤، الموضح ٢/ ٨٧٩، شرح الهداية ٢/ ٤٣٠، المغني لمحيسن ٣/ ٥١، وهو أحد القولين في كنز المعاني للجعبري ٤/ ١٩٩٨، الإتحاف: ٣٩٨.

وذهب بعضهم إلىٰ أنها مضارع "اخْتَطَفَ" علىٰ وزن "افتعلَ"، والأصل "فتَخْتَطِفُه"، أُدغِمت تاءُ الافتعال في الطاء، وأُلقيت حركة التاء علىٰ الخاء ففُتِحت؛ لِثِقَل التضعيف. أما قراءة التخفيف "فَتَخْطَفُه" فهي مضارع خَطِفَ يَخطَفُ، ونظيرها قوله تعالىٰ: "إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ"، والقراءتان لغتان(١).

وجمع بعضُهم بين القولين الأخيرين في توجيه قراءةَ التشديد "فَتَخَطَّفُه"، فهي عنده تحتمل أن تكون مضارع "تَخَطَّفَ" تفعَّلَ، أو مضارع "اخْتَطَفَ" علىٰ وزن "افتعلَ"(٢).

قال الجعبريُّ: "وجه تخفيف "فَتَخَطَّفُه" أنه مضارع "خَطِفَ".

ووجه تشديده: أنه مضارع "تَخَطَّفَهُ"، وأصله "فتَتَخَطَّفَهُ"، فحُذفت إحدىٰ التاءين علىٰ حدّ "تَكَلّمُ". أو مضارع "اخْتَطَفَهُ"، أصله "فتَخْتَطِفُه"، فنُقلت فتحةُ تاء الافتعال إلىٰ الخاء، وأُدغمت في الطاء للاشتراك، وفُتحت لِثِقَل التضعيف". وقبلها بقليل قال: "خَطِفَ الشيء: أخذَه بسرعة، وتَخَطَّفَهُ للتكثير، واخْتَطَفَهُ للمبالغة"(١).

فيؤخذ من كلامه الأخير أنه يفرّق في المعنىٰ بين"خَطِفَ" وبين "اخْتَطَفَ" التي تفيد المبالغة، وهذا يتفق مع سبق من كلام ابن الأثير.

---

(١) ينظر: معاني القراءات ١/ ١٤٢، ٢/ ١٨٠، الحجة لابن خالويه: ٢٥٣، حجة ابن زنجلة : ٤٧٦، وهو القول الثاني للجعبري والدمياطي، ينظر: كنز المعاني ٤/ ١٩٩٨، الإتحاف: ٣٩٨.

(٢) ينظر: كنز المعاني ٤/ ١٩٩٩، شرح الطيبة للنويري ٣/ ٤٥، لطائف الإشارات ٧/ ٢٩٧٣، شرح الطيبة للترمسي ٤/ ٢٥٩٨، الإتحاف: ٣٩٨.

(١) كنز المعاني ٤/ ١٩٩٨، ١٩٩٩.

٤ -التحليل الصوتي والدلالي:

من الناحية الصوتية: الخاء: تعبّر عن تخلخل ونحوه في أثناء غِلَظٍ، ويتكوّن صوتها بارتفاع أقصىٰ اللسان حتىٰ يماسّ أقصىٰ الحنك الرخو صانعًا حاجزًا رخوًا مُتخلالًا، مع مرور هواء نَفَسِ الخاء متخللا ذلك التجمع الرخو محتكًّا به، فيتموّج جانباه لرخاوتهما، ويُسمَع صدىٰ ذلك الاحتكاك برخو يتموج: خاءً[١].

والطاء: تعبّر عن نوع من الضغط بِغِلَظٍ وثِقَلٍ مع حِدّة مخالطة. ويتكوّن صوتها بالتقاء ظهر مقدّم اللسان مستعرِضًا بما فوقه من الحنك ولِثَة الثنايا العليا، مع ارتفاع أقصىٰ اللسان (استعلاء)، فتكون هناك بين وسط اللسان المتقعِّر وما فوقه من الحنك طبقةٌ من الهواء المجهور (حِدّة عريضة مضغوطة)[٢].

أما الفاء فهي تعبّر عن النفاذ بقوة (كالطرد والإبعاد) إلىٰ ظاهر الشيء، مع اتساع النافذ أو انتشاره. ويتكوّن صوتها بدفع الهواء بقوة بين المضيق المعترِض بالتقاء الثنايا العليا بباطن الشفة السفلىٰ، ويوجِّهه وَضْعُ الشفة العليا بالنسبة له. ويُلحظ الشعور بدفع الهواء إلىٰ الخارج، وهذا يؤكد التعبير عن معنىٰ الطَّرْد والإبعاد[١].

٥ – العلاقة، والفرق بين القراءتين :

بدايةً.. تجدر الإشارة إلىٰ أن الظاهر في قراءة التشديد "فَتَخَطَّفُه" أنها علىٰ زِنة (تفَعّلَ) وليس (افْتَعَل)، لكن هذه القراءة مما قُلِبت فيها تاء الافتعال إلىٰ حرف من جنس العين ثُم تمّ إدغامها فيها، كما هو الشأن في

(١) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصَّل ١/ ٢٨.
(٢) ينظر: المصدر السابق ١/ ٣٢.
(١) المصدر السابق ١/ ٣٤.

القراءتين: (يخـصِّـمون)، (يَـهِـدِّي)، فأصلهما (اختصم واهتدىٰ)، والأصل هنا: "اختطف"، قُلِبت التاءُ طاءً ونقلت فَتْحَتُها إلىٰ الخاء فاستُغْنِيَ عن همزة الوصل، ثم أُدغمت الطاء في الطاء[1].

وبيان الفرق بين القراءتين يتضح من خلال ما يأتي:

١ – القراءة بالتشديد فيها دلالة علىٰ المقصود الذي يتناسب مع عِظَم وخطورة الشرك بالله، وزيادة المبنىٰ تدل علىٰ زيادة المعنىٰ، و"تخَطّفه" بمعنىٰ تُقطِّعُه وتمزِّقه، قال القرطبيُّ: "ومعنىٰ «فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ» أي تُقَطِّعُه بمخالبها"[2]، ولا شكّ أن المعنىٰ الموجود في "تُقطِّعُه" بالتشديد أكبر الموجود في "تَقْطَعُه" بالتخفيف؛ إذ من معاني صيغة (افتعل): الدلالة علىٰ زيادة المعنىٰ والمبالغة فيه، كما تقدم من كلام ابن الأثير والجعبريّ، فكأنها مزَّقته كل ممزَّقٍ، وأهلكته غاية الإهلاك، فخَطْفُها فيه قوة وشدة.

ويشير كذلك إلىٰ قوة ذلك الاختطاف وشدّته ما زِيدَ في أصل هذه اللفظة من حرفي الهمزة والتاء[1]، ومن صفاتِ الهمزةِ: الجهرُ والشدةُ،

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج ٣/ ٤٢٥، الحجة لابن خالويه: ٢٥٣، المحتسب ١/ ٦٠، المحكم والمحيط الأعظم، لابن سِيده ٥/ ١١٨، إملاء ما منّ به الرحمن، للعكبري ١/ ٢٣، الدر المصون ١/ ١٧٩، ٨/ ٢٧٠، لسان العرب (فصل الخاء) ٩/ ٧٥، الإتحاف: ٣٩٨، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٤/ ٥٠٩، ٥١٠، ٥٦٣.

(٢) تفسير القرطبي ١٢/ ٥٥. وانظر: الهداية الىٰ بلوغ النهاية ٧/ ٤٨٨٤.

(١) حيث إنّ الفعل (اختطف) الذي هو أصل قراءة التشديد، يزيد علىٰ (خطف) الذي هو أصل قراءة التخفيف بالألف (الهمز) والتاء. والهمزُ في اللغة يعبّر عن ضغط، يتمثل هذا الضغط صوتيًّا في تكوين الهمز، حيث يتكوّن بضغط الزمير أثناء=

وكلاهما من صفات القوة، وأما حرف التاء فمن صفاته: الشدةُ، وهي تدل بمنطوقها علىٰ مفهومها(١).

ورغم أنّ حرف التاء - الزائد في "اختطف" - حرفٌ مهموسٌ، والهمسُ من صفات الضعف، إلا أن ذلك الضعف تحوّل إلىٰ قوة بإدغامه في الطاء (وهي أقوىٰ الحروف؛ لأن كل صفاتها صفاتُ قوة)، والحرف الذي به ضَعْفٌ إذا أُدغم في حرف أقوىٰ منه استحال لفظ المدغم إلىٰ لفظ المدغم فيه فقوي لقوته، كما يقول ابن جني(١).

٢ – هذه الآيةُ الكريمةُ ضرب اللهُ تعالىٰ فيها مثلاً للمشرك بالله أظهره في غاية السقوط والانبتات من النجاة، بخلاف ما ضرب للمؤمن في قوله: "فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقىٰ"

=خروجه من الوترين الصوتيين في الحنجرة، ضغطًا يؤدي إلىٰ انطباقهما وتوقف الزمير، ونطق الهمز يحتاج جهداً عضليًا؛ لأنه صوت شديد مجهور، وعملية النطق به محققا من أشق العمليات الصوتية وأشدّها. ينظر: الكتاب ٣/ ٥٤٨، شرح المفصل ٥/ ٢٦٥، لسان العرب (فصل: الهاء)، ٥/ ٤٢٦، في اللهجات العربية: ٧٧، مشكلة الهمزة العربية: ٢١، المعجم الاشتقاقي المؤصل ١/ ٢٦، خصائص لهجتي تميم وقريش: ٥٨. فكأن في نطق هذا الحرف إشارة -أحيانًا- إلىٰ القوة والشدة الموجودة في الألفاظ التي يدخل في تكوينها.

(١) ومن باب الاستئناس: تأتي صيغة (افتَعَلَ) بمعنىٰ (استَفْعلَ) [شرح التسهيل ٣/ ٤٥٦] ، ومن معاني (استَفْعلَ): التحوُّلُ من حال إلىٰ حال: نحو: استَنوَقَ الجَمَلُ، واستَتيَستِ الشَّاةُ [الممتع الكبير في التصريف: ١٣٢]. وعليه؛ يجوز أن تكون قراءة التشديد (فتخَطّفُه) فيها إشارة إلىٰ قوة الاختطاف والاستلاب، فكأنه خَطْفٌ قويٌّ جداً، من قوّته وشدّته حوَّل أجسادهم إلىٰ أشلاء ممزّقة.

(١) ينظر: المحتسب ١/ ٥٩.

[البقرة: ٢٥٦][(١)]، فجاءت كلُّ قراءة من القراءتين لتصوير جزء من حالة ذلك الذي كأنه خرَّ من السماء، فبعدَ خروره هو أحد رجلين، إما أن يكون علىٰ صورة الميت ولكن فيه بقية حياة، فهذا لا تتسارع إليه الطيور، بل تأتيه فتخْطَفُهُ وتسلبُ أجزاءه رويداً رويداً. وإما أن يكون مات بالفعل فهذا تتسارع إليه الطيور فتخَطَّفُهُ وتستلبه وتقطّعه إربـًا إربـًا[(٢)].

٣ – من معاني (افتعل) في اللغة: الاجتهادُ والطلب، وعليه تكون قراءة التشديد (فتخَطّفُه) قد أَكْسَبَتِ اللفظةَ معنىً جديداً، فهي تصوّرُ أن الطير تبحث عن ذلك المشرك وتجتهد في طلبه أثناء هُوِيّهِ وخُرُورِهِ من السماء، وكأنه مطلوبٌ لها لتفتك به، فهي لا تنتظر وصوله إلىٰ الأرض، بل تتلـمَّسُهُ في الهواء، وتطلبه وتبحث عنه بجدٍّ واجتهاد، وفي هذا تصويرٌ لحالة ذلك المشرك الذي لا يقتصر عذابه علىٰ ارتطامه بالأرض، بل يَطولُهُ العذاب حتىٰ وهو في الهواء قبل وصوله إلىٰ الأرض.

٤ – قراءةُ التشديد بما أن أصلها "فتَخْتَطِفُه" ثم أُدغمت تاء الافتعال في الخاء، فإن هذا الإدغام بمعناه اللغوي (الإدخال) رُبما يشير إلىٰ أن الطيور تتلقّفُ ذلك المشرك أثناء أو بعدَ خُرورِهِ من السماء، فتقطّعه وتمزّقه بمخالبها ومناقيرها، ثم تأكله، مُدْخِلةً ما تقطّعه من أجزاء ذلك المشرك في حواصلها.

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز ٤/ ١٢٠.

(٢) المفسرون علىٰ أن المراد بالمثَل في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ قولان: أحدهما: أنه شبَّه المشرك بالله في بُعْدِه عن الهدىٰ وهلاكه، بالذي يَخِرُّ من السماء. الثاني: أنه شبَّه حال المشرك في أنه لا يملك لنفسه نفعـًا ولا دفع ضر يوم القيامة، بحال الهاوي من السماء [زاد المسير ٣/ ٢٣٦]. وعليه؛ فيجوز أن تكون كل قراءة من القراءتين إشارة إلىٰ أحد هذين القولين.

أما قراءة التخفيف فليس فيها معنىٰ الإدخال ولا تشير إليه، وكأن الطيور تخْطَفُ ذلك المشرك أثناء أو بعدَ خُروره من السماء، فتقطّعه وتمزّقه، ثم تُلْقي تلك القطع في الأرض غير عابئة بها، وهذا غاية في الإهانة، إذ لا يستحق ذلك المشرك أن تأكله الطيور وتُدْخِلَ شيئًا من لحمه وشحمه في حواصلها. والله أعلم.

٥ – بعض حروف هذه المادة (خطف) تشير وتصوّر الحالة التي يتعامل بها الطيرُ مع ذلك المشرك بالله، حيث إن الطاء: تعبّر عن نوعٍ من الضغط بغِلَظٍ وثِقَلٍ مع حِدّةٍ، والفاء تعبّر عن النفاذ بقوة، فهي تلتهمه بشكل فيه حِدّةٍ وضغطٍ (والضغطُ هنا مجاز عن العنف)، وتُنفِذُ مخالبها ومناقيرها في أحشائه وجسمه، وكأنه عدوٌّ لها تريد أن تُمَثِّلَ به، وهذا المعنىٰ حاصل في كِلا القراءتين، إلا أنّ إضافة حرف التاء[1] في قراءة التشديد (التي أصلها "اختطف") يشير إلىٰ مزيدٍ من الضغط والعنف في تعامل الطير مع ذلك المشرك، ضغطٌ يؤدّي إلىٰ تقطيع أجزائه وتمزيقها.

٦ – لعل قراءة التخفيف تشير إلىٰ مجيئ الطير له من جهة واحدة، وقراءة التشديد تفيد مجيئها من عدة جهات، أو: قراءة التخفيف للفعل نفسه، وقراءة التشديد للطريقة التي وقع بها[1]. **والله أعلم**[2].

---

(١) التاء: تعبّر عن ضغط دقيق، يؤدي إلىٰ قطع. ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل ١/ ٢٧.

(١) أفدتُّ هذا المعنىٰ من أستاذي الدكتور عبد الحكم سلامة– حفظه الله–، وقت قراءتي هذا البحث علىٰ فضيلته.

(٢) ومن باب الاستئناس: تأتي (افتعل) بمعنىٰ (تَفَعَّلَ) [ارتشاف الضرب ١/ ١٧٥، شرح التسهيل ٣/ ٤٥٦]، ومن معاني (تَفَعَّلَ): التكلُّف، نحو: تحلّمَ وتصَبَّر= =وتشَجَّع، إذا تكلّف الحِلم والصَّبْر والشجاعة وكان غيرَ مطبوع عليها [همع الهوامع ٣/ ٣٠٥]. وعليه.. فقراءة التشديد تشير إلىٰ أنّ الطير تتكلَّفُ ذلك التعامل بقسوة وشدّة وغِلظة مع ذلك المشرك، وإن كانت في طبيعتها غير مجبولة علىٰ=

الفصل الثاني
من أسرار التبادل بين صيغتي فَعَلَ [بفتح العين] وافْتَعَلَ في القراءات المتواترة

المبحث الأول: التبادل الصيغي في الفعل (عَدَا):

وفيه موضع واحد هو قول الله تعالىٰ: ﴿...وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي ٱلسَّبْتِ...﴾ [النساء:١٥٤].

١ -القراءات المتواترة الواردة فيه:

أ- قرأ ورشٌ بفتح العين، وتشديد الدال ﴿لَا تَعَدُّواْ﴾.

ب - قرأ أبو جعفر وقالونُ في أحد الوجهين عنه بإسكان العين، وتشديد الدال ﴿لَا تَعْدُّواْ﴾.

ج - قرأ قالون – في الوجه الآخر عنه - باختلاس العين، وتشديد الدال ﴿لَا تَعدُّواْ﴾.

د - قرأ باقي القراء بإسكان العين وتخفيف الدال ﴿لَا تَعْدُواْ﴾[1].

=تلك القسوة، فتكون قراءة التشديد أفادت معنىً زائداً هو أنّه حتىٰ الطيور الوديعة الهادئة تتعامل مع ذلك المشرك بمنتهىٰ القسوة والشدّة؛ انتقامًا منه، وتنكيلاً به، متكلِّفةً ذلك؛ لأنها غير مطبوعة عليها.

وتكميلاً لما سبق من مجيء (افتعل) علىٰ (تَفَعَّلَ)، فمن معاني (تَفَعَّلَ) أيضًا: مواصلة العمل في مهلة [تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك: ١٩٩، شرح التسهيل ٣/ ٤٥٢، شرح المفصَّل ٤/ ٤٣٧]، فكأن الطيور تتواصل وتتعاقب عليه، وتكرر عودها إليه، فدلت قراءة الجماعة علىٰ أنها تنهشه وتهلكه وتقطّعه من أول مرة، أما قراءة المدنيين فتدل علىٰ مواصلتها الغدّو والرواح، والذهاب والإياب، وتكرار ذلك الفعل من الطيور، وكأنها تعود إليه المرة بعد المرة.

(١) ينظر: غاية الاختصار ٢/ ٤٦٨، النشر ٢/ ١٩٠.

٢ -التحليل اللغوي:

قال ابنُ فارس: "(عَدَوَ): العينُ والدالُ والحرفُ المُعتَلُّ أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يَرْجِعُ إليه الفروعُ كلُّها، وهو يدُلُّ علىٰ تجاوُزٍ في الشيءِ وتَقَدُّمٍ لِمَا ينبغي أن يُقْتَصَرَ عليه"(١).

ولم يذهب ابنُ منظور بعيداً عما ذهب إليه ابنُ فارس، حيث يرىٰ أن أمر هذه المادة (عدا) يدور علىٰ الظلم والجَوْر، والذي يعود في أَصله إلىٰ التجاوُزِ في الحَدِّ، فيقول: "وعَدَا عَدْواً: ظَلَمَ وَجَارَ، وفي حديث قتادةَ بنِ النُّعمان: أنه عُدِيَ عليه، أَي سُرِقَ مالُه وظُلِمَ... العَادِي: الظّالمُ، وأصله مِن تجاوُزِ الحَدِّ في الشيءِ... وقولُه تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ قال يعقوبُ: هو فاعلٌ مِن عَدَا يَعْدُو إذا ظَلَم وجارَ... وعَدَا عليه عَدْواً وعَدَاءً وعُدُوّاً وعُدْوانـًا وعِدْوانـًا وعُدْوَىٰ وتَعَدَّىٰ واعْتَدَىٰ، كلُّه: ظَلَمه"(٢).

وقال الراغبُ: "عَدَا: العَدْوُ: التّجاوُزُ ومنافاةُ الالتئام، فتارةً يُعتبرُ بالقلب، فيقال له: العَدَاوَةُ والمُعَادَاةُ، وتارةً بالمشي، فيقال له: العَدْوُ، وتارةً في الإخلال بالعدالة في المعاملة، فيقال له: العُدْوَانُ والعَدْوُ، قال تعالىٰ: ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وتارةً بأجزاء المَقَرِّ، فيقال له: العُدَوَاءُ، يقال: مكان ذو عُدَوَاءٍ(١)، أي: غير متلائم الأجزاء... والاعْتِدَاءُ: مجاوزة الحقّ"(٢).

---

(١) مقاييس اللغة ٤/ ٢٤٩.

(٢) ينظر: لسان العرب (فصل العين المهملة) ١٥/ ٣٣.

(١) أي: المكان الذي لا يطمئن من قَعَدَ عليه. ينظر: الصحاح، للجوهري (عدا) ٦/ ٢٤٢٢.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٥٥٣.

٣ - التوجيه:

من قرأ ﴿لَا تَعْدُواْ﴾ بتخفيف الدال فهو من: (عَدَا يَعْدُو -كغزا يغْزُو- فهو عَادٍ)، إذا جاوز الحدّ، والمصدرُ: (عُدْوان).

والأصل فيه: (تَعْدُوُوا) بواوين: الأولىٰ لام الكلمة، والثانية ضمير الفاعلين، فاستُثقِلت الضمةُ علىٰ لام الكلمة فَحُذِفَتْ، فالتقىٰ بحَذْفها ساكنان، فحُذِفَ الأول وهو الواو الأولىٰ، وبقيت واو الفاعلين، فوزنه: تَفْعَوا(١).

وحجتهم قوله تعالىٰ في نفس القصة: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ [الأعراف: ١٦٣]، وقوله: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٧]، وقوله: ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾ [القصص: ٢٨].

ومن قرأ بالتشديد فهو من (اعْتَدَىٰ يَعْتَدِي فهو مُعْتَدٍ)، والمصدر (اعْتِدَاء)، وحجتهم قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ [البقرة: ٦٥]، فجاء في هذه القصّة بعينها، فهو (افتعل) من الفعل (عَدَا)، والأصل: تَعْتَدُوا، ولقصد التخفيف أُدغمت تاء الافتعال في الدال؛ لتجانُس الحرفين مخرجًا، فنُقِلَتْ حركتُها إلىٰ العين وقُلبت دالاً وأدغمت، فقُرِئ ﴿لَا تَعَدُّواْ﴾. وقيل إن هذه القراءة من الفعل (تَعَدَّىٰ)(١).

ومَنْ أَسْكَنَ العينَ مع التشديد فقرأ ﴿لَا تَعْدُّواْ﴾، فقد شدّدَ الدال طلبًا لإدغام التاء فيها، ولكنه أبقَىٰ العين – بعد الإدغام- ساكنةً علىٰ أصلها كما كانت قبله.

---

(١) الدر المصون ٤/ ١٤١.

(١) ينظر: إعراب القراءات الشواذ للعكبري ١/ ٤١٨.

وأما مَنِ اختلسَ حركة العين فإشارةً وإيذانًا بأن الحركة عارضةٌ وأن أصلها السكون[1].

٤ -التحليل الصوتي والدلالي:

صوتياً: العينُ تُعبِّر عن رخاوة جِرْم ملتحم (اتساعا أو امتدادا). ويتكوَّن صوتها في وسط الحلق، بمرور زمير الجهر بين المضيق من أثناء السد البَلِيل الرِّخْو الذي يعترضه من تراجع جِذْع اللسان مع الغشاء العريض الرِّخْو الذي يتصل به- إلىٰ الجدار الخلفي الرِّخْوِ[2].

والدال: تعبّر عن امتدادٍ طولي دقيق مع انحصار، أي احتباس عن العِرَض. ويخرج صوتها بالتقاء متنِ مقدَّمِ اللسان إلىٰ طرفه بما فوقه من سقف الحنك حتىٰ أصول الثنايا العليا[1].

والواو: تعبِّر عن اشتمال واحتواء. وتتكوَّن باستدارة الشفتين، مع ارتفاع في أقصىٰ اللسان[2].

٥ – العلاقة، والفرق بين القراءتين :

١-النهيُّ في قراءة التشديد ﴿لَا تَعَدُّواْ﴾ التي هي من الاعتداء يُراد به ترك الاصطياد خاصةً، أما في قراءة التخفيف ﴿تَعْدُواْ﴾ والتي هي من العَدْوِ

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ١٥/ ٨٧، الحجة، لابن خالويه: ١٢٨، الحجة، للفارسي ٣/ ٦١، حجة ابن زنجلة: ٢١٨، الكشف ١/ ٤٤١، شرح الهداية ٢/ ٢٦٠، الموضح ١/ ٤٣١، إعراب القراءات السبع وعللها: ٨٧، إبراز المعاني ١/ ٤٢٤، اللآلئ الفريدة: شرح الفاسي علىٰ الشاطبية: ٧٢٥، البحر المحيط ٤/ ١٢٢، الدر المصون ٤/ ١٤١، البحر المديد ١/ ٥٨٥، التحرير والتنوير ٦/ ١٦. ومن العلماء من يرىٰ أن جميع قراءات هذه اللفظ بمعنىٰ واحد هو "لا يتعدوا". ينظر: تفسير السمعاني ١/ ٤٩٨.

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل ١/ ٣٣.

(١) المصدر السابق ١/ ٢٨.

(٢) المصدر السابق ١/ ٣٨.

بمعنىٰ الحُضْرِ[١]، فالمراد به: النهيُ عن العمل والكسب يوم السبت، كأنه قيل لهم: اسكنوا عن العمل في هذا اليوم، وقد قال عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا تَعْدُواْ فِي ٱلسَّبْتِ﴾: "يريد لا تعملوا شيئًا من الأعمال يوم السبت صغيرًا ولا كبيرًا، اقعُدُوا في منازلكم فأنا الرزّاقُ أرزُقُكم رغدًا"[٢].

٢- قد يكون المراد من قراءة التشديد ﴿لَا تَعَدُّواْ﴾ نهيهم عن الاعتداء ومخالفة أمر الله تعالىٰ بالاصطياد في يوم السبت. والمراد من قراءة التخفيف ﴿لَا تَعْدُواْ﴾ نهيهم عن الحضور إلىٰ البحر في ذلك اليوم، سواء اصطادوا أو لم يصطادوا، علىٰ جهة المبالغة، لِمَا عَلِم الله منهم سَلفًا أنهم قوم محتالون؛ وذلك بناءً علىٰ أن الحُضْرَ[١] من معاني مادة (عَدَا)، قال صاحب اللسان: "عَدَا: العَدْوُ: الحُضْرُ. عَدَا الرَّجُلُ والفرسُ وَغَيْرُهُ يَعْدُو عَدْواً وعُدُوّاً وعَدَوانًا وتَعْداءً وعَدَّىٰ: أَحْضَر ... وَقَدْ أَعْدَاه: إِذَا حَمَله عَلَىٰ الحُضْر"[٢].

---

(١) قال الجوهريّ: "الحُضْرُ بالضم: العَدْوُ: يقال: أَحَضَرَ الفرسُ إحضاراً واحْتَضَرَ، أي عدا". الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (حضر) ٢/ ٦٣٢.

(٢) التفسير البسيط للواحديّ ٧/ ١٧٨، مفاتيح الغيب ١١/ ٢٥٧، لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن ١/ ٤٤٣، اللباب في علوم الكتاب ٧/ ١٠٧، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢/ ٥٢٥.

(١) الحُضْرُ في الأصل: هو عَدْوُ الفَرَسِ، أي انتقاله بقوة وسرعة من مكانٍ إلىٰ مكانٍ، والحضورُ بمعنىٰ المجيء هو أيضًا انتقالٌ بقوة من مكانٍ إلىٰ مكانٍ، ومادةُ (حَضَرَ) التي منها الحُضْرُ والحُضُورُ يجمعها كلها المعنىٰ المحوريّ الآتي: "انتقالٌ بكثافة أو قوة إلىٰ مَجْمَعٍ يدوم". ومادةُ (عَدَوَ) فيها أيضا معنىٰ الانتقال، كـ"العَدْوَىٰ": انتقال المرض، و"أَعْدَىٰ الشيءَ أجازه"، أيْ نَقَلَ المرضَ إليه. ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل ١/ ٤٥٠، ٣/ ١٤١٨.

(٢) ينظر: لسان العرب (فصل العين المهملة) ١٥/ ٣١.

٣- قد يكون المعنىٰ المراد في قراءة التخفيف: نَهْيُ الله لهم عن الإسراع في اتّباع هواهم ومخالفة أمره الذي نهاهم فيه عن الاصطياد في ذلك اليوم؛ لِمَا سبق من علم الله فيهم أنهم سيسارعون في مخالفة أمره؛ وأنهم مُكْثرون من هذه المخالفة؛ لأن من معاني هذه المادة (عَدَوَ): الإسراع، وكذلك الكثرة، قال صاحب اللسان: "... وتَعَادَىٰ القومُ: تَبارَوْا فِي العَدْو. والعَدِيُّ: جماعةُ القوم يَعْدون لِقِتال وَنَحْوِهِ، وَقِيلَ: العَدِيّ أَول مَنْ يَحْمل مِنَ الرَّجَّالة، وَذَلِكَ لأَنهم يُسْرِعُونَ العَدْوَ". وقال أيضا: "... فَرسٌ عَدَوانٌ: إِذَا كَانَ كَثِيرَ العَدْو، وذئْبٌ عَدَوانٌ إِذَا كَانَ يَعْدُو عَلَىٰ النَّاسِ والشَّاءِ"[(١)].

٤- قراءة التشديد بما فيها من تثقيل، وأصلها من الاعتداء (افتعال) وليس العدوان، تشير إلىٰ قُبْح ما فعلوه وجُرْم ما ارتكبوه، حيث خالفوا نهْيَ الله لهم، واجتهدوا في تحصيل هذا الاعتداء وخطّطوا له؛ لأن من معاني صيغة (افتعل) الاجتهاد والطلب، فهو اعتداء مع سبق الإصرار، استحقوا عليه أن يمسخهم الله ويحوّلهم إلىٰ قردة وخنازير، وزيادة المبنىٰ تدل علىٰ زيادة المعنىٰ.

٥- قد يكون النهي في قراءة التخفيف ﴿لَا تَعْدُواْ﴾ خاص بالاصطياد والتلبُّس بالفعل في الواقع، بينما النهيُ في قراءة التشديد ﴿لَا تَعَدُّواْ﴾ واقعٌ حتىٰ عن الهمِّ والعزم والتفكير فيه والاستعداد له بالتخطيط وغيره[(١)]، فهو

(١) ينظر: لسان العرب (فصل العين المهملة) ١٥/ ٣٢.

(١) رُوِي أنهم كانوا يحفرون حياضًا عند البحر يوم الجمعة، ويشرِّعون إليها الجداول، فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الأحد، فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم. ينظر: مفاتيح الغيب ٣/ ٥٤٠.

نهْيٌ عن التدرج في الأمر ابتداءً من الهمّ به والتفكير فيه وصولاً إلىٰ اقتراف الفعل وملابسته، ففي قراءة التشديد نهيٌ عن صيد الحيتان يوم السبت، أو أكْلِها أو التعرّض لها، وفيها نهيٌ عن ارتكاب جميع المحظورات ذلك اليوم، وليس الاصطياد فقط(١).

ومما يعضّد ذلك أن مِن المفسرين مَن فسّر النهي في قراءة التخفيف علىٰ هذا النحو، قال الثعلبيُّ: "﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾، أي: لا تظلموا باصطيادكم الحيتان فيها"، وقال الواحديُّ: " ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ أي: لا تعتدوا باقتناص السمك فيه(١)، فقصَرَاه علىٰ الاصطياد دون الاستعداد له(٢).

وقد رُوِيَ عن ابن عباس ما يُفهم منه نحو ذلك، حيث نقل الطبريُّ عنه أنه قال: "... إذا كانوا يوم يسبتون تأتيهم شرعًا، يعني: من كل مكان، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم، وأنهم قالوا: لو أنا أخذنا من هذه الحيتان يوم تجيء ما يكفينا فيما سوىٰ ذلك من الأيام! فوعظهم قوم مؤمنون ونهوهم، وقالت

(١) ينظر: تفسير العز بن عبد السلام ١/ ٣٦٢، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢/ ٧٢٦.

(١) الكشف والبيان ١١/ ٦٥، التفسير البسيط ٧/ ١٧٦. وينظر أيضا: معالم التنزيل ١/ ٧١٨، جامع البيان للإيجي ١/ ٤٢٧، تفسير الجلالين: ١٣٠، إرشاد العقل السليم ٢/ ٢٥٠، تفسير المراغي ٦/ ١١.

(٢) الكشف والبيان ١١/ ٦٥، التفسير البسيط ٧/ ١٧٦. وينظر أيضا: معالم التنزيل ١/ ٧١٨، جامع البيان للإيجي ١/ ٤٢٧، تفسير الجلالين: ١٣٠، إرشاد العقل السليم ٢/ ٢٥٠، تفسير المراغي ٦/ ١١.

طائفة من المؤمنين: إن هؤلاء قوم قد هَمُّوا بأمر ليسوا بمنتهين دونه، والله مخزيهم ومعذبهم عذابًا شديدًا"[1].

٦- تأتي (افتَعَلَ) في اللغة بمعنىٰ (تفَعَّلَ)[2]، ومن معاني (تفَعّلَ): التكلُّف[3]، وبناءً عليه: فيجوز أن يكون المعنىٰ في قراءة التشديد ﴿تَعَدُّوا﴾: أنهم تكلّفوا في عُدوانهم، وبذلوا أقصىٰ ما يستطيعون في احتيالهم علىٰ نَهْي الله لهم، وتحصيل الحيتان التي نُهوا عن اصطيادها، ولعل في كلام الشهاب ما يشير إلىٰ المعنىٰ السابق حيث قال: "وقرأ ورش عن نافع ﴿لا تَعَدُّوا﴾ يعني بفتح العين وتشديد الدال ... وأصلها (تعتدوا) لقوله: ﴿ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾ [البقرة: ٦٥]، فإنه يدل علىٰ أنه من الاعتداء، وهو افتعالٌ من العُدوان، فأريد إدغام تائه في الدال فنُقلت حركتها إلىٰ العين وقُلبت دالاً وأُدغمت"[1].

٧- تأتي (افتعلَ) أيضًا بمعنىٰ الخَطفة والأخْذ بسُرعة، وعليه فربما جاءت القراءة بالتشديد ﴿لا تَعَدُّوا﴾ لتصوير الحالة التي كان عليها المعتدون يوم السبت حال اعتداءهم، فهي تصوِّر أنهم كانوا يخطفون الحيتان، ويجمعونها ويتلقّفونها من الحياض بسرعة.

---

(١) جامع البيان للطبري ١٣/ ١٨٧. وقد يستأنس للمعنىٰ السابق بما ورد من مجيئ صيغة (افتعل) - التي جاءت عليها قراءة التشديد - بمعنىٰ (تفاعَلَ)، وتفَاعَلَ من معانيها: حصولُ الشيء تدريجيًا [الممتع الكبير في التصريف: ١٢٥، ١٣١، شرح شافية ابن الحاجب ١/ ٢٥٦، همع الهوامع ٣/ ٣٠٥]، كتزايدَ النيلُ، وتواردت الإبلُ: أي: حصلت الزيادة بالتدريج شيئًا فشيئًا.

(٢) ينظر: الممتع الكبير في التصريف: ١٣١.

(٣) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، لرُكن الدين الاستراباذي ١/ ٢٥٩.

(١) حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي ٣/ ١٩٥. وينظر: روح المعاني ٣/ ١٨٣.

٨- القراءة بالتشديد فيها إشارة إلىٰ استحلال هؤلاء المعتدين لما فعلوا من الاصطياد ومخالفة أمر الله لهم بالامتناع عنه، وقد صرّح الراغبُ بذلك المعنىٰ فقال: "والاعْتِدَاءُ: مجاوزة الحقّ، قال تعالىٰ: ... ﴿...ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ [البقرة: ٦٥]، فذلك بأخْذهم الحيتان علىٰ جهة الاستحلال"(١).

وكذا صرّح به السمرقنديُّ عند بيانه الآية نفسها التي استدلّ بها الراغبُ :﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ يعني اصطادوا، ويقال: استحَلُّوا أخْذ الحيتان يوم السبت... وهذه الآية علىٰ معنىٰ التحذير والتهديد، فكأنه قال إنكم تعلمون ما أصاب الذين استحَلُّوا أخْذَ السمك في يوم السبت من العقوبة، فاحذورا كيلا يصيبكم مثل ما أصابهم"(١).

وجعله(٢) الرازيُّ أحد احتمالين في المسالة فقال: "ويحتمل أن يُقال: إنهم إنما تعَدّوا في ذلك الاصطياد فقط، وأن يقال: إنما تعَدّوا لأنهم اصطادوا مع أنهم اسْتَحَلُّوا ذلك الاصطياد(٣).

٩ - يمكن القول: أن قراءة التشديد جاءت للمنع مع وجود أسباب الإغراء لهم في الاصطياد، من كثرة الحيتان لدرجة أنها تكون علىٰ الشاطئ.

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٥٥٤. فجعلَ ما كان علىٰ صيغة الافتعال (الاعتداء) علىٰ جهة الاستحلال.

(١) ينظر: بحر العلوم ١/ ٨٧ ، ٩٩ ، ٣٧٨. ويلاحظ أنه ذكر "الاستحلال" عند بيانه لِلَّفْظَةِ التي هي علىٰ صيغة الافتعال أيضًا (اعتدىٰ اعتداءً).

(٢) أي الاستحلال.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب ٣/ ٥٤٠.

أما قراءة التخفيف فجاءت للمنع مطلقًا علىٰ الحالة الطبيعية في الاصطياد، فقد يكون كقيراً وقد يكون قليلا[1].

قراءة التشديد ﴿تَعَدُّواْ﴾ فيها أمر الله المباشر لبني إسرائيل بأن لا يفتعلوا الاعتداء علىٰ ما أمرهم به من تجنّب الصيد يوم السبت، أما قراءة التخفيف ﴿تَعْدُواْ﴾ ففيها بيان النتيجة التي سوف يترتب عليها ذلك الاعتداء، وهي ظلم أنفسهم بما سيترتب عليه من عقاب؛ لتجاوزهم حدود ما أمر الله[2]، واعتداؤهم علىٰ حرمات الله.

وفي تعدد القراءات في هذه اللفظة القرآنية إشارة لتعدد أوجه الجرائم التي اقترفها المعْتَدُون من بني إسرائيل في حق أنفسهم وفي حق غيرهم[1].

قراءة التشديد ﴿تَعَدُّوا﴾، وكذلك قراءة الإسكان ﴿تَعْدُّوا﴾ دالتان علىٰ زيادة النهي والتحذير، فاللهُ تعالىٰ نهاهم عن أصل الاعتداء ومجاوزة الحدّ في قراءة التخفيف ﴿تَعْدُواْ﴾، ثم نهاهم عن الغُلُوّ في الاعتداء والزيادة فيه كما هو معنىٰ قراءتي ﴿تَعَدُّوا﴾، ﴿تَعْدُّوا﴾[2]. والله تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) ما ورد هنا (في الرقم: ٩) أفادني به أستاذي الدكتور/ سامي هلال- حفظه الله- بعد قرائته هذا البحث لتقييمه. فجزاه الله عني خيراً.

(٢) وسبق أن مادة (عَدَوَ) تدور حول التجاوُز فِي الشيءِ الذي ينبغي أن يُقتصَرَ عليه. ينظر: مقاييس اللغة ٤/ ٢٤٩.

(١) ينظر: تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر ٣/ ١٢٥.

(٢) ينظر: الإعجاز في القراءات القرآنية والجمع بينها: ٢٤١.

المبحث الثاني:
التبادل الصيغي في الفعل (هَدَى)

وفيه موضع واحد : قول الله تعالىٰ: ﴿...أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ ...﴾ [يونس:٣٥].

١ -القراءات المتواترة الواردة فيه:

ورد في هذا اللفظ ستُّ قراءات:

الأولىٰ: ﴿يَهَدِّيٓ﴾ بفتح الياء والهاء، وتشديد الدال، وهي قراءة ورش وابن كثير وابن عامر، وأحد الوجهين عن أبي عمرو.

الثانية: ﴿يَهْدِّيٓ﴾ بفتح الياء، وإسكان الهاء، وتشديد الدال، وهي قراءة ابن وردان، وأحد الوجهين عن قالون وابن جماز.

الثالثة: ﴿يَهْدِيٓ﴾ بفتح الياء، وإسكان الهاء وتخفيف الدال، وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف.

الرابعة: ﴿يَهِدِّيٓ﴾ بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال، ليعقوب وحفص.

الخامسة: ﴿يِهِدِّيٓ﴾ بكسر الياء والهاء وتشديد الدال لشعبة.

السادسة: ﴿يَهِدِّيٓ﴾ بفتح الياء، واختلاس فتحة الهاء، وتشديد الدال، وهي قراءة قالون وأبي عمرو وابن جماز في أحد الوجهين عنهم[(١)].

٢ -التحليل اللغوي:

الجمهور من اللغويين علىٰ أن القراءتين: بتخفيف الدال وتشديدها[(٢)] بمعنىٰ واحد، قال الفراءُ: "العربُ تقولُ: قد هَدَىٰ فلانٌ،

---

(١) ينظر: غاية الاختصار ٢/ ٥١٥، النشر ٢/ ٢٨٣. قال ابنُ الجزري في طيِّبته، (أبيات رقم: ٦٨١- ٦٨٣): "... شَفَا * لاَ يَهْدِ خِفُّهُمْ ، وَيَا اكْسِرْ صُرِفَا . وَالْهَاءَ نَلْ ظَلْمًا، وَأَسْكِنْ ذَا بَدَا * خُلْفُهُمَا شَفَا خُذِ، الإِخْفَا حَدَا خُلْفٌ بِهِ ذُقْ ...".

(٢) وتشديدُ الدال يشمل قراءة جميع القراء عدا حمزة والكسائي وخلف العاشر.

واهْتَدَىٰ، بمعنًىٰ واحدٍ، وهما جميعًا في أهلِ الحجازِ، وقد قرأ القُرَّاءُ: «أَمَّن لَّا يَهْدِي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ»، والمعنىٰ -واللهُ أعلم-: لا يَهْتَدِي، فإذا أرادوا: يَهْتَدِي، ثم أدغموا"(١).

ويُفهمُ من كلام ابنِ سِيدَهْ والفيروز آبادي وتمثيلِهما أن القراءات الواردة في هذا اللفظ كلها بمعنىٰ واحد، حيث قال ابنُ سِيدَهْ: "الهُدَىٰ: ضد الضَّلال...وَفُلَان لَا يَهْدِي الطَّرِيق، وَلَا يَهْتَدِي، وَلَا يَهَدِّي وَلَا يَهِدِّي، وقد قُرِئَ: «أَمَّنْ لَا يَهَدِّي» و «لَا يَهِدِّي»"(٢).

وقال الفيروز آبادي: "هَداهُ هُدًىٰ وهَدْيًا وهِدَايَةً وهِدْيَةً، بكسرهما: أرْشَدَهُ، فَهَدَىٰ واهْتَدَىٰ، وهَداهُ اللهُ الطَّرِيقَ، وَلَهُ، وإليه...وهو لا يَهْدي الطَّريقَ، ولا يَهْتَدِي، ولا يَهَدِّي، ولا يِهِدِّي"(١).

وقال ابنُ منظور: "...وهَدَىٰ واهْتَدَىٰ بمعنىً، وقولُهُ تعالىٰ: «فَإِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ»؛ قال الفرَّاءُ: يُرِيدُ لَا يَهْتدِي... وَمَنْ قرأَ «أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي» خفيفةً، فمعناه يَهْتَدِي أَيضًا، يُقالُ: هَدَيْتُه فَهَدَىٰ، أَي اهْتَدَىٰ"(٢).

---

(١) كتاب فيه لغات القرآن: ٧٣ . وبنحو ما قال الفراءُ قال الطبريُّ في جامع البيان ١٥/ ٨٨، والسمرقنديّ في بحر العلوم ٢/ ١١٦ .

(٢) المحكم والمحيط الأعظم، (فصل الهاء والدَّال والياء) ٤/ ٣٧٢. وينظر: المصباح المنير (هـ د ي) ٢/ ٦٣٦، الإبانة في اللغة العربية، لـ: سلمة بن مسلم العوتبي (فصل الهاء) ٤/ ٥٨٥. وهو المفهوم أيضًا من كلام الخليل في: "العين" (باب الهاء والدال)، ٤/ ٧٨.

(١) القاموس المحيط: ١٣٤٥ .

(٢) لسان العرب (فصل الهاء) ١٥/ ٣٥٤. وبمثل هذا قال الزبيديُّ في: تاج العروس ٢٠/ ٣٢٨.

وفي المعجم الوسيط[١]: "اهْتَدَىٰ يَهْتَدِي وَيهْدِي ويَهِدِّىٰ: استرشد، وفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز «أَفَمَن يهدي إِلَىٰ الْحق أَحَق أَن يتبع أم من لَا يهدي إِلَّا أَن يهدىٰ» وَقُرِئَ «مَن لَا يَهْدِي».

فيؤخذ مما سبق من كلام اللغويين أنّ هَدَىٰ واهتدىٰ كلاهما بمعنىٰ واحد، ولم يخالف في هذا إلا المبرّد، حيث أنكر هذا فقال: إن هَدَىٰ بمعنىٰ اهتدىٰ لا يُعرف[٢].

٣ – التوجيه:

يُفهم من كلام علماء التوجيه أن الأصل في قراءة كلّ من شدّدَ الدال «يَـهْتَدِي»، علىٰ زِنة "يَفْتَعِلُ"، ولمجانسة التاء للدال أُدغِمت فيها[١]، وعند الإدغام لابدّ من تسكين المُدغَم، ولئلا يجتمع ساكنان طُرِحتْ فتحةُ التاء علىٰ الهاء[٢]، (وهي قراءة ورش ومَن معه «يَـهَـدِّي»).

---

(١) ٢/ ٩٧٨ .

(٢) ينظر: الهداية الىٰ بلوغ النهاية ٥/ ٣٢٦٥، البحر المحيط ٦/ ٥٥، حاشية الشهاب علي البيضاوي ٥/ ٢٦، روح المعاني ١١/ ١١٤ .

(١) يَرَىٰ سيبويه أنّه إذا كان الحرفان من مخرج واحد، أو تقارب المخرجان قَوِيَ الإدغامُ وحسُنَ، ومثَّلَ لذلك بأمثلةٍ منها: يخصِّمون في يختصمون، ويهِدّي في يهتدي. ومتىٰ كان الإدغامُ يُقوِّي الحرفَ المدْغَمَ فيحسُنُ ذلك، وهنا _ إضافة= =إلىٰ أن الحرفين من مخرج واحد- فالتاءُ مهموسة والطاءُ مجهورة، والمجهورُ أقوىٰ صوتًا من المهموس، وعند الإدغام يتحوّل لفظُ المدغَمِ إلىٰ لفظ المدغَمِ فيه فيَقْوَىٰ لقوّته. ينظر: الكتاب ٤/ ٤٧٤، المحتسب١/ ٥٩.

(٢) والعربُ ينقلون حركةَ الحرف الذي يُرادُ إدغامه إلىٰ ما قبله إن كان ساكنًا، مثل قولهم: مُـعِدٌ ومُـمِدٌ، وأصلهما: مُـعْدِدٌ ومُـمْدِدٌ. ينظر: الحجة للفارسي ٤/ ٢٧٧، الموضح ٢/ ٦٢٤.

وكذلك مَن اختلسَ حركةَ الهاءِ (وهو أحد الوجهين عن قالون ومَن معه «يَهدِّي»)، فإنه أيضًا أَلقَىٰ فتحةَ التاء علىٰ الهاء، ولكنه اختلسها ولم يُشْبِعْها؛ إذ ليست بأصل علىٰ الهاء، ولِيُبيِّنَ أنها حركة لغير الهاء، وإشارة إلىٰ أنّ الهاء ليس أصلُها الحركة بل السكون، وإنما حركتها عارضة، والاختلاسُ في حُكم الحركة، ولكنه حالةً متوسطةً بين حالتين، كالذي يقرأ في الحروف الممالة بين اللفظين.

وذهب البعضُ إلىٰ تحريك الهاء بالكسر علىٰ الأصل في التخلص من التقاء الساكنين، قال أبو حاتِم: هي لُغَةُ سُفْلِيِّ مُضَرَ[1] (وهذه هي قراءة يعقوب وحفص «يَهِدِّي»)[1].

وأَتْبَعَ بعضُهم الياءَ للهاء في الكسر؛ طلبًا للمجانسة ليعمل اللسان في ثلاث كسراتٍ عملاً واحداً، (وهي قراءة شعبة «يِهِدِّي»)، وقيل: هذه علىٰ لغةِ تميمٍ وأسدٍ وقيسٍ وربيعةَ[2].

واختار البعضُ أن تَبْقَىٰ الهاءُ ساكنة بعد إدغام التاء في الدال فاجتمع ساكنان، (وهي قراءة ابن وردان ومَن معه «يَهْدِّي»)، وقد حَكَىٰ سيبويه أنها لغة، وأن مثلها قد يُتكلم به[3].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٣٤٢، البحر المحيط ٦/ ٥٥.

(١) ويرىٰ بعضُ المُحْدَثين أنّ كسْرَ الهاء جاء نتيجة التماثل الرجعي؛ حيث أَثَّرَتْ حركةُ الدال علىٰ حركة الهاء؛ فتماثلت كسرة مثلها. ينظر: أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية، تاج العروس نموذجًا، د.عبد الرازق حمودة: ٥٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٤٦، ٨/ ٣٤١، حاشية زادة علىٰ البيضاوي ٣/ ١٥.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩، معاني القراءات ٢/ ٤٤. قال الفراء: سمِعَ الكسائيُّ من العرب "يَهْدِّي" بسكون الهاء وتشديد الدال"، وأكّد الكسائيُّ ذلك بقوله: "يجمعون بين ساكنين". كنز المعاني للجعبريّ ٤/ ١٧١٥.

وأما قراءة حمزة ومَن معه بتخفيف الدال «يَهْدِي» فهي مضارع «هَدَىٰ» علىٰ زِنة فَعَلَ، والمعنىٰ: أمّن يَهْدِي أحداً إلا أن يُهْدَىٰ ذلك الأحدُ بهدايةٍ من عند الله(١).

ويجوز أن تكون بمعنىٰ "يهتدي" أيضـاً(٢)، قال الفرّاءُ: "العربُ تقولُ: قد هَدَىٰ فلانٌ، واهْتَدَىٰ، بمعنًىٰ واحدٍ، وهما جميعـًا في أهلِ الحجازِ"، وسُمِعَ أعرابيٌّ فصيحٌ يقول: إن السهم لا يَهْدِي إلا بثلاث قُذَذٍ، أي: لا يَهْتَدِي(١).

٤ -التحليل الصوتي والدلالي:

أصول هذا الفعل (هـ د ي)، ولكل حرفٍ منها دلالةٌ صوتيةٌ، فالهاءُ تعبِّر عن فراغ الجوف، أو إفراغ ما فيه بقوة، ويتكوّنُ صوتها بإخراج هواء الرئتين دفعة كبيرة إلىٰ الخارج بلا عائق؛ إذ يكون مجرىٰ الهواء متسعًا فيسمحُ بإفراغ الهواء من الجوف بقوة.

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز ٣/ ١١٩.

(٢) ولا التفات إلىٰ ما قاله المبرّدُ: أن "هَدَىٰ" بمعنىٰ "اهْتَدَىٰ" لا يُعرف؛ حيث لم يُسَلَّمْ له بما قال. ينظر: حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي ٥/ ٢٦.

(١) ينظر: معانىٰ القرآن للأخفش ١/ ٣٢٣، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩، معاني القراءات ٢/ ٤٤، الحجة لابن خالويه: ١٨١، الحجة للفارسي ٤/ ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٨، المحتسب ١/ ٥٩، حجة القراءات: ٣٣١، الكشف ٢/ ٩٥، شرح الهداية ٢/ ٣٤٠، التفسير الوسيط للواحدي ٢/ ٥٤٧، الموضح ٢/ ٦٢٤، شرح الطيبة للنويري ٢/ ٣٧٢، لطائف الإشارات ٦/ ٢٣٨٠، الإتحاف: ٣١٣. وقال المبرد: لا يُعرف "هَدَىٰ" بمعنىٰ "اهْتَدَىٰ". الهداية الىٰ بلوغ النهاية ٥/ ٣٢٦٥.

"والدالُ: تعبّر عن امتدادٍ طولي دقيق مع انحصار، أي احتباس عن العِرَضِ، وهذا يلتقي مع الشعور بخروج الدال بالتقاء متنِ مقدَّمِ اللسان إلىٰ طرفه بما فوقه من سقف الحنك حتىٰ أصول الثنايا العليا.

والياءُ: تعبِّر عن اتصال الممتد شيئًا واحدًا، وعدم تفرقه أو تسيبه، ومعنىٰ الياء هذا يلتقي مع الشعور بتكوُّنها بامتداد الزمير، مارًّا -دون أن ينقطع- من المضيق الذي يسببه ارتفاع مقدّم اللسان، مقتربًا مما يوازيه من الحنك[1].

٥ - العلاقة، والفرق بين القراءتين :

١ – قد يكون في الحركات إشارةٌ إلىٰ بعض المعاني، فقد يؤخذ من حركة فتح الهاء في قراءة «يَهَدِّي» إشارةٌ إلىٰ انفتاح طريق الضلال أمام هؤلاء الذين يتخذون الأصنام آلهة من دون الله، قال أبو علي الفارسيّ: "من قرأ: «لا يَهَدّي» فقد نسبهم إلىٰ غاية الذهاب عن الحقّ والزّيغ عنه في معادلتهم الآلهة بالقديم سبحانه..."[1].

وكذلك الاختلاس (باعتبار أنه إسراع بالحركة واختطافٌ لها) قد يكون إشارة إلىٰ ما ينبغي أن يكون، وهو سرعة الحسم والجواب بأن الله تعالىٰ الذي يهدِي إلىٰ الحق هو الأحق بالاتباع، وأنه ما ينبغي لعاقل أن يتردد أو يتلعثم بأن هذه الأصنام لا تَهْدِي أحداً إلىٰ الحق ولا تهتدي في نفسها، أما الله تعالي فهو الذي يَهدي إلىٰ الحق، وليس ذلك بَيَدِ أحدٍ إلا هو سبحانه، لذلك فهو الأحق بأن يُتّبَع.

أما قراءة الإسكان فهي – علىٰ قول كثير من اللغويين والنحويين الذين يرون استحالة الجمع بين ساكنين – إشارة إلىٰ استحالة أن تهتدي

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل ١/ ٢٨، ٣٧، ٣٩.

(١) الحجة للفارسي ٤/ ٢٧٥، ٢٧٦.

الأصنام أو تَهْدِيَ أحداً، وعلىٰ قول مَن يُجيزونه هي إشارة إلىٰ استحالة ذلك أيضـًا، وقد عُبِّر عن هذه الاستحالة بشيء فيه صعوبة، وهو الجمع بين ساكنين علىٰ غير حَدِّهما.

فهذه الصيغة تفيد أنه لا يهتدي إلا بصعوبة، بل لا يمكن أن يهتدي أصلاً ولو جاءه أهدىٰ الهدىٰ[(١)].

وقراءة أبي بكر شعبة بالإتْباع إشارة إلىٰ استحالة ذلك أيضـًا حتىٰ ولو اتخذ هؤلاء معهم أتباعـًا يساندونهم ويعاونونهم[(١)].

وبهذه القراءة –قراءة الإتباع– حُفِظتْ لهجةٌ عربيةٌ فيها جواز كسر ياء المضارعة؛ لأن سيبويه لا يرىٰ جواز كسر ياء المضارعة لغةً؛ لِثَقَلِ الكسرة عليها، قال الشهاب الخفاجيّ: "وهذه القراءة حجة عليه"[(٢)]، السمينُ بعد أن نقَلَ رأْيَ سيبويه: "وهذا فيه غَضٌّ من قراءة أبي بكر، ولكنه قد تواتَرَ قراءةً، فهو مقبول"[(٣)].

٢ – قراءة التشديد أبلغ في الاحتجاج[(٤)]، كما أن فيها مبالغة في ذمّ الكفار وآلهتهم أنها لا تَهْتدي في أنفسها إلا أن تُهْدَىٰ، وهذه غاية النقص والضعف، والمعنىٰ: أفمن يَهْدي غيرَه إلىٰ الحق أحق أن يتّبع أم من لا

---

(١) ينظر: زهرة التفاسير ٧/ ٣٥٦٦.

(١) هذه الإشارة معنوية، ولهذا الإتْباع غرض صوتيّ هو: تحقيق الانسجام والتماثل في الأصوات.

(٢) حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي ٥/ ٢٦، روح المعاني ١١/ ١١٤.

(٣) الدر المصون ٦/ ١٩٩.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ٣٥٦.

يَهْتدي في نفسه إلا أن يُهْدىٰ، فهي إذا كانت لا تَهْتدي إلىٰ نفع أنفسها فَأَحْرَىٰ أن لا تَهْدِي أحداً إلىٰ شيء(١).

٣ – في قراءة التشديد، قد يكون اختيار القرآن الكريم هذه اللفظة – التي أصلها (اهتدىٰ)، والتي هي أطول من حيث المبنىٰ من (هَدَىٰ)– له دلالته من حيث المعنىٰ، بحيث يكون المراد والله أعلم– الإشارة إلىٰ امتداد عدم قدرتهم علىٰ الاهتداء أو هداية أحد إلىٰ يوم القيامة، أي أنهم لم يهتدوا ولن يهتدوا، وما هَدُواْ أحداً، ولن يستطيعوا ذلك علىٰ مَرِّ الأزمان وكَرِّ الدهور، فتكون زيادة المبنىٰ دليلاً علىٰ زيادة المعنىٰ، وقد يكون الاستثناء الذي جاء بعد كلمة ﴿يَهِدِّيٓ﴾ قرينة علىٰ ذلك، حيث ذهب بعض المفسرين إلىٰ أن ذلك يوم القيامة، قال الماتريديُّ: "فإن قيل: ما معنىٰ الاستثناء [أي في قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ﴾] وهو وإن هُدِيَ لا يَهْتدي؟.

قيل: يُشبه أن يكون هذا صلة ما تقدم من قوله: «مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ» [آية:٢٨]، يُنطِقُهم الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة، فيشهدون عليهم أنهم لم يأمروهم بالعبادة لهم، ولا دَعَوْهم لإشراكهم في العبادة، فيكون قوله: ﴿إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ﴾ لما أن يجعلهم الله بحيث يهتدون إذا هُدوا، ويجيبون إذا دُعوا ... وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ﴾ قال بعضُهُم: ﴿إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ﴾ لا يحتمل الصنم والوثن الاهتداء وإن هُدِي، ولكن المراد منه الإنسان.

---

(١) الكشف ٢/ ٩٥. وجاز أن يُخْبر عنها بأنها تهتدي إذا هُدِيت، وهي مواتٌ؛ لأنهم عبدوها فأقاموها مقام من يعقل، فعُبِّر عنها كما يُعَبَّر عمن يعقل، علىٰ مذهبهم فيها، أي: لو كانت ممن يعقل لم تَهْتدِ إلا أن تُهْدَىٰ، وهي في المعنىٰ لا تَهتدي وإن هُديت، لأنها حجارة. المصدر السابق.

وقال بعضُهُم: ﴿إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰ﴾: إلا أن يحمل الصنم ويوضع، فأما أن يَهتدي هو بنفسه فلا، لكن يحتمل ما ذكرنا أنه إذا صيَّرَه بحيث يتكلم ومن جنس ما ينطق وأَذِنَ له في النطق احتمل الإجابة والاهتداء"(١).

٤ – قد يكون إيثار القرآن الكريم اختيار هذا اللفظ ﴿يَهِدِّيٓ﴾ الذي أصله على "يفتعل"؛ للإشارة إلى أنه يُراد به معنى آخر غير المتبادر من لفظ الهداية(٢)، حيث إن "معنى الهداية في حق الأصنام: الانتقالُ، [والانتقالُ افتعالٌ] أي: أنها لا تنتقل من مكان إلى مكان إلا أن تُحْمَل وتُنقَل(١)، وفي هذا مزيد بيان لعجز الأصنام، أو يكون المراد باهتدائها: ما ذكر الله من تسبيح الجمادات"(٢).

فكأن إيثار القرآن الكريم لهذا اللفظ «يهِدِّي» إشارة إلى أن معناه هنا: الانتقالُ، أو تسبيح الجمادات، وليس الإرشاد أو التوفيق(٣).

---

(١) تأويلات أهل السنة، للماتريدي ٦/ ٤١.

(٢) الهداية: الدلالة بلُطفٍ على ما يوصل إلى المطلوب، وهي للإنسان على أربعة أوجه: الأول: الهداية التي عَمَّ بجنسها كل مكلف من العقل، والفطنة، والمعارف الضرورية، الثاني: هدايةُ الله للناس إلى الدين والحق على ألسنة الأنبياء، الثالث: هداية التوفيق والإرشاد، الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة. والمعنى المحوري لمادة "هَدِيَ": تبيُّنُ الوجهة، أو تبيينها بالتقدّم أو الكشف. ينظر: التعريفات: ٢٥٦، المفردات في غريب القرآن ٢/ ٤٦٧، المعجم الاشتقاقي المؤصل ٤/ ٢٢٩٣.

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٤٦٤.

(٢) معالم التنزيل ٢/ ٤١٩. وينظر أيضا: جامع البيان، للإيجي ٢/ ١٣٣، الكشاف ٢/ ٣٤٦، المحرر الوجيز ٣/ ١١٩، الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٣٤١، لباب التأويل في معاني التنزيل ٢/ ٤٤٣، التحرير والتنوير ١١/ ١٦٣.

(٣) ينظر: الكشف والبيان ١٤/ ٢١٣، الهداية إلى بلوغ النهاية ٥/ ٣٢٦٦، الوسيط للواحدي ٢/ ٥٤٧، أنوار التنزيل ٣/ ١١٢.

٥ – المعنىٰ في قراءة التخفيف: يهْدِي غيره، وفي قراءة التشديد: يهْتدِي هو نفسُهُ، فكأن القراءتين تآزرتا في تأكيد نفىٰ الهُدىٰ عن الأصنام في أنفسها ولغيرها.

ويحتمل أن تكون قراءة التخفيف[1] إشارة إلىٰ مَنْ عُبِدَ من دون الله من العقلاء، كعيسىٰ عليه السلام، وعُزَيرٍ والملائكة[2]، بدلالة التعبير مرتين في الآية بما يُعبَّرُ به عن العقلاء وهو "مَنْ"، فهم لا يملكون هداية غيرهم إلا بتوفيق من الله لهم وللمهتدي[1].

أما قراءة التشديد فهي إشارة إلىٰ الأصنام، فإذا كانت لا تهتدي في نفسها فأحرَىٰ ألا تستطيع هداية غيرها، فيكون مجموع القراءتين قد نَفَىٰ الهداية عن كل ما سوىٰ الله تعالىٰ من المعبودات. والله أعلم.

٦ – قد ذكر المفسرون في أن المراد من قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾ إمّا الأصنام، وهو قول الجمهور منهم، أو رؤساء الكفر والمضلِّين[2].

وعليه.. فتكون قراءة تخفيف الدال ﴿ يَهْدِّيٓ﴾ إشارة إلىٰ العقلاء من الرؤساء والمضلين، وقراءة التشديد ﴿ يهدِّيٓ﴾ إشارة إلىٰ الأصنام، وهي قراءة أغلب القراء.

---

(١) "يَهْدِي"، وهي قراءة حمزة ومَن معه.

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري ١٨/ ٥٣٨، أنوار التنزيل ٣/ ١١٢.

(١) قال الرازي: "...لم يسلم من الغلط إلا الأقلون، فوجب أن الهداية وإدراك الحق لا يكون إلا بإعانة الله سبحانه وتعالىٰ وهدايته وإرشاده". مفاتيح الغيب١٧/ ٢٤٩.

(٢) ينظر: زاد المسير ٢/ ٣٣٠، مفاتيح الغيب ١٧/ ٢٥٠، الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٣٤١.

٧ - التقديرُ في قراءة التشديد: "أم الذي لا يَهْتَدِي إلا أن يُهْدَىٰ، من قولهم: هَدَي بنفسه إذا اهْتَدَىٰ"(١)، فـ: هَدَىٰ لازمٌ بمعنىٰ اهتدي، والمعنىٰ: "أَفَمَنْ يَهْدِي الناسَ إلىٰ الحقِّ، وهو اللهُ سبحانه أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ ويُقْتَدَىٰ به، أَمِ الأحقُّ بأنْ يُتَّبَعَ ويُقْتَدَىٰ به مَنْ لا يَهْتَدِي بنفسه إلَّا أَنْ يَهْدِيَهُ غيرُهُ فضلاً عن أنْ يَهْدِيَ غيرَهُ؟"(٢)، وإنما جِيءَ بهذا الفعل علىٰ هذه الصيغة هكذا: «يَـهِـدِّي» للدلالة علىٰ "نَفْيِ تسوية من يَهْدِي غيرَه بمن لا يهتدي في نفسه إلا إذا طَلَبَ الهدايةَ وحصَّلها من غيره"(١).

أو "إشارة إلىٰ أن هذا الذي يعبده المشركون من دون الله، لا يستطيع أن يهتدىٰ من تلقاء نفسه إلىٰ خير أو حق أبداً، فهو في حاجة إلىٰ من يقوده ويهديه، وحتىٰ مع هذا، هو بطيء الخُطا، لا يستجيب استجابة كاملة لمن يهديه، وهذا ما يدل عليه لفظ «يهدّىٰ» الذي هو بمعنىٰ يهتدىٰ، ولكن فيه ثِقَلٌ واضطرابٌ"(٢).

أو مبالغة في عدم اهتداء هؤلاء، حيث إنّ تضعيف الدال في «يهدّي» يفيد المبالغة(٣).

وبيان ذلك: أن القرآن الكريم هنا يتحدّث عن الأصنام، وهي ليست كالبشر؛ لأنها غير قادرة علىٰ فعل شيء، ولم يَرِدْ في القرآن نَفْيُ الهداية عن

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ١١٢.

(٢) فتح القدير للشوكاني ٢/ ٥٠٦ . وينظر: حاشية الشهاب علي البيضاوي ٥/ ٢٦.

(١) حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي ٥/ ٢٦.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب ٦/ ١٠١٠.

(٣) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د. فاضل السامرائي، ص: ٦٩٣.

الأصنام إلا في هذه الآية[1]، وإنما الوارد في كل القرآن نَفْيُ الهداية عن البشر، فجاء ذلك بألفاظ "يهتدي وتهتدي ويَهْدِي"، ولمّا كان الحديث هنا عن نفْيِ الهداية عن الأصنام، إذْ كيف تهتدي أو تَهْدي أحداً وهي جمادات؟ جاءت المبالغة في عدم الهداية بهذه الصيغة «يهدّي»[2].

٨ – تفيد قراءة التخفيف ﴿ يَهْدِيٓ﴾ أن معبودات هؤلاء المشركين لا يمكنها هداية أحد، أما قراءة التشديد ففيها إشارة إلىٰ أنّ هؤلاء المشركين قد بلغوا في حُبِّ هذه الأصنام وعبادتها مبلغًا عظيمًا، وكأن حُبّها وتعظيمها أُشْرِبَتْهُ قلوبهم، ولذلك فهم يُنزلونها ويعاملونها معاملة العقلاء، ويصفونها بأوصاف مَن يعقل[1]، فجاء التعبير عن هذا بإدغام التاء في الدال من "يهتدي" فصار «يَهدِّي»؛ لأن الإدغام إدخالٌ، فعُبِّر بهذا الإدخال عن إدخال حُبّ هذه الأصنام في قلوب المشركين وتمكُّنه منها، فإذا نفَىٰ الله الهداية عنها كان ذلك غاية التنقُّص من هذه المعبودات التي أحبُّوها.

ومبالغة في التنقُّص من معبوداتهم أُدغِمت تاء الافتعال في الدال؛ "إيماءً إلىٰ انتفاء جميع أسباب الهداية حتىٰ أدانيها، فإن التاء عند أرباب القلوب معناه: انتهاء التسبب إلىٰ أدناه، والمعنىٰ: إلا أن يُهْدَىٰ فلا يَهْتدي،

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٨٢٣– ٨٢٧، باستثناء آية واحدة فقط في سورة الأعراف، (آية: ١٤٨). المصدر السابق.

(٢) المصدر قبل السابق.

(١) ينظر: الحجة للفارسي ٤/ ٢٧٥، البحر المحيط ٦/ ٥٦.

أي يَهديه هادٍ غيره كائنًا مَن كان، وهذا يعُمّ كل ما عُبِد مِن دون الله، مَن يعقل ومَن لا يعقل"[١].

كذلك فإن هذا الإدغام – إدغام تاء الافتعال في الدال- يشير إلىٰ قوة الخطاب من الله تعالىٰ لهؤلاء المشركين؛ لأن التاء حرف مهموس، أما الدال فمجهور، والهمس فيه ضعف والجهر فيه قوة، فكان هذا إشارة إلىٰ قوة الخطاب من الله تعالىٰ لهؤلاء المشركين، وامتناع جميع أسباب الهداية عنهم حتىٰ أدانيها، واستخدام الحركتين: الفتحة والكسرة، ثم السكون يعضّد هذا المعنىٰ[١].

٩ – القراءة بالتخفيف ﴿ يَهْدِيّ﴾ نُظِرَ فيها إلىٰ الأصل، فاكتُفِيَ فيها بنفي الأصل عن نفي سائر الفروع؛ لأن الأصل في الفعل التجرّدُ. ويُشار بها إلىٰ أنّ المَهْدِيَّ بـ:﴿يَهْدِيّ﴾ المخففة هدايته يسيرة.

أما القراءة بتشديد الدال، مع تنوُّعِ حركة الهاء من إسكان واختلاسٍ وفتحٍ وكسرٍ، وكذلك حركة الياء من كسرٍ وفتحٍ فنُظِرَ فيها، وأُشِيرَ بها إلىٰ تنوُّعِ الناس في حُبِّ الأصنام، وإلىٰ تنوُّع الأغراض، فمنهم من يُحِبُّها حُبًّا عاديًا، ومنهم من يُحِبُّها يخالط قلبه ويملأ فؤاده وأركانه.

كما أنّ دلالة علىٰ أنّ المشار إليه بـ ﴿ يَهِدِّيّ﴾ بالتشديد (أيًّا ما كانت حركة الهاء أو الياء) هدايته مستحيلة ومن رابع المستحيلات[٢].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٩/ ١١٨.

(١) ينظر: ينظر: المحتسب١/ ٥٩، تفسير القرآن بالقراءات العشر ٤/ ٣٠٤ .

(٢) ما ذكرته في هذه الفقرة (رقم: ٩) أَفَدتُّه من أستاذي الدكتور عبد الحكم سلامة- حفظه الله-، أثناء قراءة هذا البحث علىٰ فضيلته. فجزاه الله عني خيراً.

المبحث الثالث
التبادل الصيغي في الفعل (خَصَمَ)

وفيه موضعٌ واحدٌ هو قوله تعالىٰ: ﴿...وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس:٤٩].

١ -القراءات المتواترة الواردة فيه:

ورد في هذا اللفظ ستُّ قراءات:

الأولىٰ: ﴿يَخَصِّمُونَ﴾ بفتح الياء والخاء، وتشديد الصاد وكسرها، وهي قراءة ورش وابن كثير، وأحد الوجهين عن أبي عمرو وهشام، وأحد الأوجه الثلاثة عن قالون.

الثانية: ﴿يَخْصِمُونَ﴾ بفتح الياء، وإسكان الخاء وتخفيف الصاد، وهي قراءة حمزة.

الثالثة: ﴿يَخْصِّمُونَ﴾ بفتح الياء، وإسكان الخاء، وتشديد الصاد، وهي قراءة أبي جعفر، وأحد الوجهين عن قالون.

الرابعة: ﴿يِخِصِّمُونَ﴾ بكسر الياء والخاء، وتشديد الصاد وكسرها، وهي قراءة شعبة، في أحد الوجهين عنه.

الخامسة: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ بفتح الياء، وكسر الخاء، وتشديد الصاد، وهي قراءةُ ابنِ ذكوان، وحفص، والكسائي ويعقوب وخلفٍ العاشر، والوجه الآخر عن هشام وشعبة.

السادسة: ﴿يَخْصِّمُونَ﴾ بفتح الياء واختلاس فتحة الخاء، وتشديد الصاد وكسرها، وهي قراءة قالون الثالثة، والوجه الثاني عن أبي عمرو[1].

---

(١) ينظر: غاية الاختصار ٢/ ٦٣٠، النشر ٢/ ٣٥٤. وقال ابنُ الجزري في طيِّبته: ٨٧٥- ... وَبَـا ∴ يَخَصِّمُوا اكْسِرْ خُلْفَ صَافِي، الْخَا لِيَا / ٨٧٦ ـ خُلْفٌ رَوَىٰ نَلْ مِنْ ظُبىً، وَاخْتَلَسَا.. بِالْخُلْفِ حُطْ بَدْرًا، وَسَكِنْ بَخَسَا/ ٨٧٧ ـ بِالْخُلْفِ فِيْ ثَبْتٍ، وَخَفَّفُوا فِنَا ∴

٢ -التحليل اللغوي:

لم تتفق كلمة اللغويين علىٰ معنىٰ هذين اللفظين (خصَمَ- اختصمَ)، ويؤخذ مما ذكروه أن قراءة حمزة بالتخفيف أصلها خَصَمَ، بمعنىٰ: غَلَبَهُ، وقراءة الباقين بالتشديد من اختصمَ، بمعنىٰ: تنازعوا وتجادلوا(١)، قال الرازي: "...و«خَاصَمَهُ» «فَخَصَمَهُ» مِنْ بَابِ ضَرَبَ أَيْ: غَلَبَهُ فِي الْخُصُومَةِ، ... وَمِنْهُ قِرَاءَةُ حَمْزَةَ: ﴿وَهُمْ يَخْصِمُونَ﴾ [يس: ٤٩]، وَأَمَّا مَنْ قَرَأَ ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ أَرَادَ يَخْتَصِمُونَ فَقَلَبَ التَّاءَ صَادًا وَأَدْغَمَ وَنَقَلَ حَرَكَتَهُ إِلَىٰ الْخَاءِ..."(١).

وقال ابنُ منظور: "خاصَمَه خِصاماً ومُخاصَمَةً فَخَصَمَهُ يَخْصِمهُ خَصْماً: غَلَبَهُ بِالْحُجَّةِ، والخُصومَةُ الِاسْمُ مِنَ التَّخاصُمِ والاخْتِصامِ. والخَصْمُ: مَعْرُوفٌ، واخْتَصَمَ القومُ وتَخاصَموا، وخَصْمُكَ: الَّذِي يُخاصِمُكَ"(٢).

وقال الزبيديُّ: "الخُصومَةُ، بالضَّمِّ: الجَدَلُ ... فَخَصَمَهُ يَخْصِمُهُ، بالكسْرِ، مِن حَدِّ ضَرَبَ ولا يقالُ بالضمِّ: غَلَبَهُ... قالَ الجوْهَرِيُّ: ومنه قَرَأَ حَمْزَةُ: «وهم يَخْصِمونَ»، أَي بسكونِ الخاءِ وكسْرِ الصَّادِ... واخْتَصَموا: جَادَلُوا، مِثْل تَخاصَمُوا، والاسْمُ منهما الخُصومَةُ"(٣).

وفي المعجم الوسيط(٤): "خَصَمه خصماً وخصاماً وخصومة: غَلبه فِي الخِصام، (خصم) خصماً وخصاماً: أحكم الْخُصُومَة وجادل فَهُوَ

(١) ينظر: معجم الصواب اللغوي ١/ ١٠٢، معجم اللغة العربية المعاصرة ١/ ٦٥٣.

(١) مختار الصحاح، (خصم): ٩١.

(٢) لسان العرب (فصل الخاء)، ١٢/ ١٨٠.

(٣) ينظر: تاج العروس (فصل الخاء) ١٦/ ٢١٥.

(٤) ١/ ٢٣٩.

خصم، (أخصم) فلَانا: لقّنه حجَّته علىٰ خَصمه ليغلبه".

٣ -التوجيه:

هذا اللفظ يُشْبه ﴿يَهِدِّي﴾[(١)]، وأصله في القراءات مشدَّدةِ الصادِ كلِّها «يَخْتَصِمُونَ» علىٰ زِنة "يَفْتَعِلُون"[(١)]، بل هي فِي قراءة أُبَيّ بن كعب ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾[(٢)]، ثم أُدغِمت التاء في الصاد لتقارب المَخْرجَين[(٣)]، وعند الإدغام لابدّ من تسكين المُدغَم، فمَن فتَحَ الخاء ﴿يَخَصِّمُونَ﴾ نَقَلَ فتحةَ التاءِ إلىٰ الخاء الساكنة؛ لئلا يجتمع ساكنان، «وهي قراءةُ ورشٍ ومَن معه»، وهذا الوجه هو الأجود عند الزجاج.

ومَن كسَرَ الخاءَ ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ فعلىٰ الأصل في التخلُّصِ من التقاء الساكنين، وهذا الوجه أكثر وأجود عند الفراء، «وهذه قراءة ابن ذكوان ومن معه»[(٤)].

ومَنْ أسْكَنَ الخاءَ ﴿يَخْصِّمُونَ﴾ ترَكَها ساكنةً علىٰ حالها بعد الإدغام

---

(١) ينظر: إملاء ما منّ به الرحمن ٢/ ٢٠٤.

(١) ينظر: كتاب فيه لغات القرآن: ١٢٠، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٠، معاني القراءات ٢/ ٣٠٩، الكشف ٢/ ٣٢٠، الكتاب الجامع ٢/ ٣١٦.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٩، معاني القرآن للنحاس ٥/ ٥٠٢، الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٣٨.

(٣) إذ التاء تخرج من: طرف اللسان، وأصول الثنايا العليا، والصاد تخرج من طرف اللسان، وأطراف الثنايا السفلىٰ، كما أنّ الحرفين مشتركان في صِفَتي الهمس والإصمات. وسبق أن سيبويه يرَىٰ أنّ تقارُبَ المخرجين مما يُقَوِّي الإدغامَ ويحسِّنه. ينظر: الكتاب ٤/ ٤٧٤.

(٤) وعند بعض المُحْدَثين أنّ كسْرَ الخاء جاء نتيجة التماثل الرجعي؛ حيث أثَّرَتْ حركةُ الصاد علىٰ حركة الخاء؛ فتماثلت كسرةً مثلها. ينظر: أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية: ٥٤.

كما كانت قبله، وإنْ أدَّىٰ ذلك إلىٰ الجمع بين ساكنين، وقد حَكَىٰ سيبويه أنها لغة، وأن مثلها قد يُتكلم به[1]، «وهذه هي قراءة أبي جعفر ومن معه».

ومَنْ كَسَرَ الياءَ ﴿يِخِصِّمُونَ﴾ فقد أَتْبَعَ حرَكَتَها لحركةِ الخاءِ المكسورة؛ طلبًا للمجانسة ليعمل اللسان في ثلاث كسراتٍ عملاً واحداً، «وهي قراءة شعبة، في أحد الوجهين عنه».

ومَنِ اختلَسَ حركةَ الخاءِ فَلِبيان أن أصل الخاءِ السكونُ، وأنّ جُزءَ الحركة الذي علىٰ الخاء عارضٌ، وهو في الأصل من حركة الصاد، وهربًا من اجتماع ساكنين، «وهي رواية عن قالون وأبي عمرو».

وأما مَنْ أسكَنَ الخاءَ وخفَّفَ الصادَ ﴿يَخْصِمُونَ﴾ ، فهي مضارع «خَصَمَ» علىٰ زِنة فَعَلَ، «وهي قراءة حمزة»، علىٰ معنىٰ يَفْعِلون من الخصومة كأنه قَالَ: وهم يتكلمونَ، أو: وهم فِي أنفسهم يَخْصِمُونَ من وَعَدَهم الساعةَ[1].

٤ -التحليل الصوتي والدلالي:

صوتياً: الخاء: تعبّر عن تخلخل ونحوه في أثناء غِلَظ. وتتكوّن بارتفاع أقصىٰ اللسان حتىٰ يماسّ أقصىٰ الحنك الرخو صانعًا حاجزًا رخوًا مُتخلاًلا، مع مرور هواء نَفَسِ الخاء متخللا ذلك التجمع الرخو محتكًّا به،

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩، معاني القراءات ٢/ ٤٤.

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٩، معانىٰ القرآن للأخفش ١/ ٣٦٣، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٠، معاني القراءات ٢/ ٣٠٩، الحجة للفارسي ٦/ ٤٢، حجة ابن زنجلة: ٦٠٠، الكشف ٢/ ٣٢٠، لطائف الإشارات ٨/ ٣٤٦٩، شرح الهداية ٢/ ٤٨٦، الموضح ٣/ ١٠٧٤، الإتحاف: ٤٦٧، المغني ٣/ ١٧٩.

فيتموج جانباه لرخاوتهما، ويُسمَع صدىٰ ذلك الاحتكاك برخو يتموج: خاءً[1].

والصاد: تعبِّر عن كونِ الشيء غليظًا قويًّا في ذاته خالصًا مما يخالطه. وتتكوّن بخروج هواء الزفير حُزْمَةً كثيفة (غليظة) ممتدة بين اللسان الذي يتقعر حينئذ، وأعلىٰ الحنك الذي يصير كالطبق له، فيحس الناطق بها حزمة كثيفة (غليظة) من الهواء الخالص، لا يخالطها زمير الجهر، ينفذ من الفم بأثر الإطباق[1].

والميم: تعبّر عن تضامٍّ أو استواءٍ ظاهريٍّ لشيء أو علىٰ شيء. وتتكوّن بالتقاء الشفتين في نقطة أقرب إلىٰ ظاهرهما- مع خروج زمير الجهر من الأنف[2].

٥- العلاقة، والفرق بين القراءتين :

لا يتفق الباحث مع ما ذهب إليه بعض علماء اللغة وتوجيه القراءات من أنه لا فرق بين هذه القراءات الواردة في هذه الكلمة، وما تبنّاه صاحب رسالة: تفسير القرآن بالقراءات العشر[3] من أن قراءات هذه الكلمة كلها بمعنىٰ واحد، وهذه الفروق في الحركات هي لمجرد التخفيف في النطق، ويؤكد علىٰ أن هناك فروقًا بينها، وبيان تلك في الفروق من خلال ما يأتي:

١ - سبق أن أصل هذا اللفظ «يَخْتَصِمُونَ»، لكن أُدغِمَت التاء في الصاد، فقد يكون هذا الإدغام إشارة إلىٰ سرعة حدوث النفخة أو الصيحة،

(١) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل ١/ ٢٨.

(١) المصدر السابق ١/ ٣١.

(٢) المصدر السابق ١/ ٣٧.

(٣) وهو الباحث: سامي خليل رضوان، تُنظر رسالته المذكورة أعلاه ١٠/ ١٣٩.

قال الماتُريديُّ: "وقوله: ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ يُخْبِرُ عن سرعة قيام الساعة وغفلة أهلها عنها؛ كقوله: ﴿أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ أي: فجأةً، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[الزُّخرُف:٦٦]"(١). وفي حديث أبي هريرة ما يشير إلىٰ ذلك، قال: قال رسول الله ﷺ: «...وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلَا يتبَايَعَانِهِ، وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَىٰ فِيهِ، فلَا يَطْعَمُهَا»(٢). وفي حديث عبد الله بن عمرو ما يشير إلىٰ ذلك أيضـًا، قال: «لَيُنْفَخَنّ في الصور، والناس في طرقهم وأسواقهم ومجالسهم، حتىٰ إن الثوب ليكون بين الرجلين يتساومان، فما يُرسله أحدهما من يده حتىٰ يُنفَخ في الصور، وحتىٰ إن الرجل ليغدو من بيته فلا يرجع حتىٰ ينفخ في الصُّور، وهي التي قال الله: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ ... الآية»(٣).

٢ - قد يكون الإدغامُ وما فيه من تشديد وتثقيل إشارةً إلىٰ شدة ما يقع بين المتخاصمِينَ وثِقَلِ الجدَلِ الواقع بينهم.

---

(١) تأويلات أهل السنة ٨/ ٥٢٦.

(٢) أخرجه البخاريُّ ٨/ ١٠٦، باب: طلوع الشمس من مغربها، برقم: ٦٥٠٦.

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري٢٠/ ٥٢٨. ووَرَدَ أيضـًا : «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرَّجُلَانِ يَتَبَايَعَانِ الثَّوْبَ وَلَا يَطْوِيَانِهِ وَلَا يَتَبَايَعَانِهِ، حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ يَحْلُبُ فَلَا يَضَعُ الْإِنَاءَ عَلَىٰ فِيهِ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ». أخرجه: نعيم بن حماد في الفتن ٢/ ٦٤٥، برقم: ١٨٠٩، والسمرقنديُّ في بحر العلوم ٣/ ١٢٦.

٣ - قراءةُ حمزة التخفيفُ فيها يدل علىٰ أن المعنىٰ: أن الصيحة ستكون "وَهُمْ عند أنفسهم يَخْصِمُون مَن وعدهم مجيء الساعة، وقيام القيامة، ويغلبونه بالجدل في ذلك"(١).

٤ - يحتمل أن يكون المراد من قراءة التخفيف: الخصومة في البيوع والمعاملات ونحوها، "وأنّ الساعة تقوم وهُمْ علىٰ ما كانوا عليه من قَبْلُ في البيوعات والخصومات والمنازعة"(٢)، وكأنها إشارة إلىٰ أن تلك الخصومة أثناء وجودهم فِي أسواقهم ومتاجرهم خاصة(٣)، باعتبارها محل التجمعات غالبًا، ويؤيدها ما جاء بعدها وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ﴾، أي: لا يرجعون من أسواقهم إلىٰ أهلهم، بل يموتون مكانهم، وهو قول قتادة واختيار الطبريّ(٤). وأنّ المراد من قراءة التشديد: التخاصم في أمر الساعة والبعث، أي: "يختصمون في الساعة والبعث أنها لا تقوم ولا تكون؛ لأنهم كانوا ينكرونها"(٥). وهو أعمّ من كونهم في الأسواق وغيرها.

٥ - قراءة التشديد - وأصلها (يختصمون)- كأنّ الإدغامَ ـ والإدغام

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ٢٠/ ٥٣٠.

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة ٨/ ٥٢٦.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٤/ ٤٧، جامع البيان، للإيجيّ٣/ ٤٢٨، الكشاف ٤/ ٢٠.

(٤) ينظر: جامع البيان ٢٠/ ٥٣٠، الهداية الىٰ بلوغ النهاية ٩/ ٦٠٤٨، زاد المسير ٣/ ٥٢٧.

(٥) ينظر: تأويلات أهل السنة ٨/ ٥٢٦، الكشاف ٤/ ٢٠.

معناه في اللغة: الإدخال ـ للتاء في الصاد فيها إشارة إلىٰ أن الساعة تأتيهم وهم أدخل ما يكونون في الغفلة، ولَهْوِهم وانشغالهم ببيعهم وشرائهم(١).

٦ - إدغام التاء في الصاد في قراءة ﴿يخصِّمُونَ﴾ بالتشديد إشارة إلىٰ أنّ خصامهم قد بلغ غايته ومنتهاه، وهذا دليل علىٰ شدة غفلتهم عن أمر الساعة، فإنّ من يتوقع القيامة يستعِدُّ لها، أما هؤلاء فقد نسوها وغفلوا عنها أشد الغفلة وما اختصامهم إلا دليل علىٰ ذلك، قال البقاعيُّ: "... وبيَّنَ غرورَهم بقوله: ﴿وَهُمْ يخصِّمُونَ﴾ أي: يختصمون، أي: يتخاصمون في معاملاتهم علىٰ غاية من الغفلة، ولعله عُبِّرَ بذلك إشارة بالإدغام اللازم عنه التشديد إلىٰ تناهي الخصام بإقامة أسبابه أعلاها وأدناها، إلىٰ حَدٍّ لا مزيد عليه؛ لأنّ التاء معناه عند أهل الله(٢): انتهاء التسبيب إلىٰ أدناه(٣)، وكل ذلك إشارة إلىٰ أنهم في وقت الصعق يكونون في أعظم الأمان منها لأن إعراضهم عنها بلغ إلىٰ غاية لا مزيد عليها"(٤).

٧ - قراءة التشديد الإدغامُ فيها يشير إلىٰ أنّ خصومتهم وإن بلغت النهاية في الشدّة، لكنها في الوقت نفسه في غاية الخفاء بالنسبة إلىٰ الصيحة، وقد عبّر الإمام البقاعيّ عن ذلك وزاد وأفاض بقوله: "ويشير الإدغام أيضاً إلىٰ أن خصومتهم في غاية الخفاء بالنسبة إلىٰ الصيحة، وإن بلغت الخصومة

---

(١) في زاد المسير ٣/ ٥٢٦، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٤/ ٩: إشارة خاطفة إلىٰ هذا المعنىٰ المستنبط.

(٢) يقصد بـ: "أهل الله" أهل التصوف. والله أعلم، وكما هو معلوم أن البقاعي في "نظم الدرر" اعتنىٰ كثيراً بعبارات ومصطلحات أهل التصوّف.

(٣) التسبيبُ معناه: الوصول إلىٰ الشيء بسبب، وسبَّبَ الأمرَ: جعلَ له سبباً. ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٥/ ٢٩٣٠.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٦/ ١٣٩.

النهاية في الشدة، ولم يقرأ أحدٌ «يختصمون» بالإظهار إشارة إلىٰ أنه لا يقع في ذلك الوقت خصومةٌ كاملةٌ حتىٰ تكون ظاهرة، بل تُهلكُهُم الصيحةُ قبل استيفاء الحجج وإظهار الدلائل، فمنها ما كان ابتَدَأَ فيه أصحابُهُ فأوجزوا - بما أشارت إليه قراءة حمزة بإسكان الخاء وكسر الصاد مخففًا-، ومنها ما كان متوسطًا وفيه خفاءٌ وعُلوٌّ - بما أشار إليه تشديد الصاد مع اختلاس فتحة الخاء-، ومنها ما هو كذلك وهو إلىٰ الجلاء أقرب - بما أشار إليه إخلاص فتحة الخاء مع تشديد الصاد-، وأشار من قرأه كذلك مع كسر الخاء إلىٰ التوسط مع الخفاء والسفول، والله أعلم"[1].

٨ – التعبير بـ: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ المشدد أقوىٰ في الدلالة علىٰ المقصود من التعبير بـ"يختصمون"[2]؛ لأن المقام مقام شدة وقوة وسرعة، وبقاء الحرف المرقق المهموس -وهو التاء- ظاهراً لا يتناسب مع هذا المقام، فأُدغِمَ ذلك الحرف الضعيف في حرف قويٍّ -وهو الصاد-، فصار الناطق كأنه ينطق بصادَيْنِ، وليس بتاء وصاد، فكان هذا الجَرْسُ للكلمة أقوىٰ في الدلالة علىٰ المقصود من غيره من الألفاظ. والله تعالىٰ أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٦/ ١٤٠.

(٢) وقد عبّرَ سيبويه عن هذه القوة اللغوية بقوله: "ومما يدغم: إذا كان الحرفان من مخرج واحد، وإذا تقاربَ المخرجان، قولهم: يطّوّعون في يتطوعون، ويذّكّرون في يتذكرون، ويسَّمَّعون في يتسمعون، الإدغامُ في هذا أقوىٰ، إذْ كان يكون في الانفصال، والبيان فيهما عربيٌ حسن؛ لأنهما متحركان، كما حسن ذلك في يختصمون ويهتدون. وتصديق الإدغام قوله تعالىٰ: " يطيروا بموسىٰ"، و"يذكرون". الكتاب ٤/ ٤٧٤.

المبحث الرابع
التبادل الصيغي في الفعل (دعا)

وفيه موضعٌ واحدٌ هو قول الله تعالىٰ: ﴿... وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ [المُلك:٢٧].

١ -القراءات المتواترة الواردة فيه:

قرأ يعقوب بإسكان الدال مخففة . وقرأ الباقون بفتحها مشدّدة(١).

٢ -التحليل اللغوي:

قراءة التشديد تحتمل عند اللغويين أن تكون بمعنىٰ الدعاء، وأن تكون من الادّعاء، وقد نقل سيبويه عن العرب قولهم: اللهم أشركنا في دَعْوَىٰ المسلمين، أي: دعائهم، واستشهد بقول الله تعالىٰ: ﴿... وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:١٠]، أي: وآخر دعائهم(٢)، وبقول الراجز (بشير بن النَّكْث):

"وَلَّتْ ودَعْوَاهَا كَثِيرٌ صَخَبُهْ"(٣).

وقال الفراء: "وقوله: ﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ يريد: تَدْعُونَ، وهو مثل قوله: تَذْكُرون، وتَذَّكّرون، وتخبرون وتختبرون، والمعنىٰ واحد"(٤).

وقال ابن سِيده: "الدُّعاءُ: الرَّغْبة إلىٰ الله عز وجل، دَعَاهُ دُعاءً ودَعْوَىٰ، حكاها سيبويه في المصادر التي في آخرها ألف التأنيث... وفِي

(١) ينظر: غاية الاختصار ٢/ ٦٨٧، النشر ٢/ ٣٨٩.

(٢) جامع البيان للطبري ١٥/ ٣٣، تاج العروس ٣٨/ ٤٩٥، (طغو).

(٣) ينظر: الكتاب ٤/ ٤١، معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٣١٩، اللسان (فصل: العين المهملة) ٤/ ٥٩٤.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٧١.

التنزيل: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس:٥٧] معناه: ما يَتَمَنَّوْنَ، وهو راجع إلىٰ معنىٰ الدُّعاءِ"(١).

وقال أيضًا: "وقوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ جاء في التفسير: تكْذِبون، وتأويله فِي اللغة: هذا الذي كنتم من أجله تَدَّعُون الأباطيل والأكاذيب. ومن قرأ ﴿تَدَّعُونَ﴾ بالتخفيف، فالمعنىٰ: هذا الذي كنتم به تستعجِلُون وتَدْعُون الله، في قولهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ...﴾، ويجوز أن يكون (يَدَّعُون) يَفْتَعِلُون من الدُّعاءِ ومن الدّعْوَىٰ"(٢).

ونقل ابنُ منظورٍ كلامَ ابنِ سِيدَهْ بنصِّهِ وزاد عليه قوله: "وقولُ الله عزَّ وجلَّ في سورةِ المُلْك: ﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ قرأ أبو عمرٍو(٣) ﴿تَدَّعُونَ﴾ ، مُثَقَّلَةً، وفسَّرَهُ الحَسَنُ تَكْذِبون مِنْ قولك: تَدَّعِي الباطلَ وتَدَّعِي ما لا يكونُ، تأويله في اللُّغةِ: هذا الذي كنتم مِنْ أجله تَدَّعُونَ الأباطيلَ والأكاذيبَ، وقال الفَرَّاءُ: يجوزُ أن يكون ﴿تَدَّعُونَ﴾ بمعنىٰ (تَدْعُون)، ومَنْ قرأ ﴿تَدَّعُونَ﴾ مُخَفَّفَةً، فهو مِن: دَعَوْتُ أَدْعُو"(٤).

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم ٢/ ٣٢٥، ٣٢٦.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ٢/ ٣٢٧.

(٣) نسبةُ ابنِ منظور القراءةَ بالتشديد لأبي عمرو فيه تجوّزٌ، فهي كما سبق قراءة القراءة العشرة إلا يعقوبَ، ولعله خصّ أبا عمرو بالذكر لكونه بصريًا فخالفت قراءته قراءة البصري الآخر وهو يعقوب.

(٤) لسان العرب ١٤/ ٢٦١، (فصل الدال المهملة). وينظر: تاج العروس ١٩/ ٤٠٦، (فصل الدال).

وبالتالي فالقراءتان - من وِجْهة نظر اللغويين - إما لغتان بمعنىٰ واحد، وإما أن معناهما متقارب، فأصلهما واحد إلا أن التشديد يشتمل علىٰ معنىٰ العموم، وإما أن التخفيف من الدُّعَاء، والتشديد من الدَّعْوَىٰ(١).

٣ - التوجيه:

حذا علماءُ التوجيه حَذْوَ علماء اللغة، فذهبوا إلىٰ أن القراءة بالتخفيف ﴿تَدَّعُونَ﴾ من الدعاء، والمعنىٰ: هذا الذي كنتم تستعجلونه وتَدْعون الله أن يوقعه بكم، تقولون: ﴿ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

والقراءةُ بالتشديد ﴿ تَدَّعُونَ ﴾ تَفْتَعِلون من الدُّعاء أيضًا، أو من الدَّعْوىٰ، أي: تَدَّعُونَ الأباطيلَ والأكاذيبَ، أي: تَدَّعُونَ أنكم إذا مِتُّم وكُنتمْ تُرَابًا أنكم لا تُخرجُون، أو تَدَّعُونَ أنه لا جنة ولا نار، وقيل: معنىٰ ﴿تَدَّعُونَ ﴾ أي: تَمنَّوْن، يقال ادَّعِ عليَّ ما شئت، أي: تَمَنّ ما شئت"(٢).

٤ -التحليل الصوتي والدلالي:

سبق ذكر معاني أصوات هذا اللفظ عند الحديث عن لفظ "لا تعْدُو"، مع مراعاة وملاحظة ترتيب حروف اللفظين: (عَدَوَ - دَعَوَ).

٥ - العلاقة، والفرق بين القراءتين :

حتىٰ تظهر العلاقةُ بين القراءتين، ويتضح الفرق بينهما، يحسُن الوقوف علىٰ المعنىٰ الإجماليّ لهذه الآية، وهو أنه لما رأىٰ الكفارُ العذابَ، وهو الموعود به، زُلْفة: أي قُربًا، أو: عيانًا، أو: حاضراً، ﴿سِيٓـَٔتْ﴾ أي:

(١) ينظر: التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، د. أحمد سعد محمد: ٥٨.

(٢) معاني القراءات ٣/ ٨١، الموضح ٣/ ١٢٨٤، قلائد الفكر: ١٦١.

ساءت رؤيتُه وجوهَهم، وظهر فيها السُّوءُ والكآبةُ، وغَشِيَها السَّوادُ كمن يُساق إلىٰ القتل، "وقيل لهم"، أي: تقول لهم الزبانيةُ ومَن يُوبِّخهم ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾[1].

وجمهورُ المفسرين علىٰ أن قراءة التخفيف ﴿تَدَّعُونَ﴾ من الدُّعاء، وكذا قراءة التشديد ﴿تَدَّعُونَ﴾[2]، قال الفراء: "تدَّعون، يريد: تَدْعُونَ من الدُّعاء، أي: تَطْلُبُونَ وَتَسْتَعْجِلُونَ بِهِ، وَتَدْعُونَ وَتَدَّعُونَ وَاحِدٌ فِي اللُّغَةِ، مِثْلُ: تَذْكُرُونَ وَتَذَّكَّرُونَ، وَتَدْخَرُونَ وَتَدَّخِرُونَ"[3].

وبعضُ المفسرين يضيف إلىٰ ما تقدم احتمالاً آخر، وهو جواز كون قراءة الجمهور بالتشديد من الدَّعْوىٰ وليس الدعاء، فقد نُقِل عن الحسن أن المعنىٰ في قراءة الجمهور بالتشديد: تَدَّعُون أنه لا جنة ولا نار[4]، وذهب الزجاج إلىٰ أن تأويلها في اللغة: "هذا الذي كنتم من أجله تَدَّعُونَ الأباطيل

---

(١) ينظر: البحر المحيط ١٠/ ٢٢٩.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٢٠، ٢٢١.

(٣) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي ٤/ ٣٣١، مفاتيح الغيب ٣٠/ ٥٩٧. وينظر أيضًا التفاسير التالية: جامع البيان للطبري ٢٣/ ٥١٩، معالم التنزيل ٥/ ١٢٨، تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين ٥/ ١٦، الكشف والبيان ٢٧/ ١٢٢، الهداية الىٰ بلوغ النهاية ١٢/ ٧٦٠٦، الوجيز للواحدي: ١١١٩، الكشاف ٤/ ٥٨٢، ٥٨٣، زاد المسير ٨/ ٣٢٤، الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٢٠، ٢٢١، أنوار التنزيل ٥/ ٢٣٢، إرشاد العقل السليم ٩/ ١٠، فتح القدير ٥/ ٣٧٠، روح المعاني ١٥/ ٢٣، ثم: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣١١، وغير ذلك.

(٤) ينظر: الهداية الىٰ بلوغ النهاية ١٢/ ٧٦٠٦، المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٣، البحر المحيط١٠/ ٢٢٩، الدر المصون ١٠/ ٣٩٥.

والأكاذيب، أي تدَّعون أنكم إذَا مِتُّم وكنتم ترابًا وعظامًا أَنَّكُمْ لا تُخْرَجُونَ"[١].

وليس القول بأن القراءتين بمعنىً واحدٍ - متطابقٍ تمامًا- صوابًا، بل نعتقد أن بين القراءتين فرقًا، وفي إحداهما إضافة وزيادة عن الأخرىٰ، ويتبين ذلك مما يأتي:

١ – قراءةُ التخفيف تؤيد أحد المعنيين في قراءة ﴿تَدَّعُونَ﴾ بالتشديد، أو تشير إليه وترجِّحه، وهو أنه من الدُّعاء وليس الدَّعوىٰ[٢].

٢ – قراءةُ التخفيف أفادت أنهم بجملتهم يدْعُون بتعجيل العذاب، ولكن قراءة التشديد فيها معنىً زائد إضافيّ، حيث أفادت أنهم كانوا يتواصَوْن بذلك استكباراً، واستبطاءاً لنزول العذاب، أي: يتداعون بوقوعه، وهو مثل قولهم: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا...﴾، أي: كانت الدعوىٰ بوقوعه فاشية منكم، فمعنىٰ (تدَّعون) هنا: تتداعون[٣]، من الدُّعاء، وليس من الدَّعْوىٰ، قال الشاعر:

"فَمَا بَرِحَتْ خَيْلٌ تَثُوبُ وَتَدَّعِي"[٤].

أي: تَتَدَاعَىٰ بينها: يا لفلان! ونحو ذلك"[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٠١.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٢٠، البحر المحيط ١٠/ ٢٢٩، فتح القدير ٥/ ٣١٦.

(٣) تداعَىٰ القومُ: دعا بعضهم بعضًا حتىٰ يجتمعوا. تاج العروس ٣٨/ ٤٧.

(٤) هذا صدر بيت لـ: أوس بن حجر، وعجزه: "ويلحق منها لاحق وتقطّع". ينظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة ٢/ ٢٥، وينظر أيضًا: أساس البلاغة (ف ت أ)، ٢/ ٣.

(٥) المحتسب ٢/ ٣٢٥.

فكأن قراءة التشديد جاءت لتفيد هذا المعنىٰ الزائد[1]، وهو أنهم كانوا يتداعون بوقوع العذاب ويطلبونه ويستعجلونه[2]؛ لكونهم يستبطئونه، وهذا الاستعجال والتداعي الذي تُبْرِزه قراءة التشديد غير ظاهرٍ في قراءة التخفيف.

٣ – قراءة التشديد أفادت معنىً إضافيًا آخر، هو أنهم لم يكونوا يكتفون بأن يَدْعو كلُّ واحد منهم بمفرده باستعجال العذاب، بل كان يتّخذ معه آخرين يَدْعون معه، وهذا من شدة الاستهزاء والإنكار منهم، ويستفاد هذا المعنىٰ السابق من معاني صيغة (افتعل)، إذ من معانيها: الاتّخاذُ، والمشاركة، أي: اتّخذ كلُّ واحد منهم آخر، أو آخرين معه يَدْعون باستعجال العذاب، ويشتركون في الدعاء، فقراءة التخفيف يفهم منها أنهم بجملتهم كانوا يَدْعون، لكن فُرادىٰ غير مجتمعين ولا متواصين بذلك، أما قراءة التشديد فيفهم منها أنهم كانوا يَدْعون بشكل جماعيّ، أخذاً من معنىٰ المشاركة والاتّخاذ المستفاديْنِ من صيغة (افتعل).

٤ – قراءةُ التخفيف تفيد أنهم كانوا يَدْعون باستعجال العذاب دون اجتهاد ومبالغة منهم في طلب ذلك، لكن قراءة التشديد تفيد هذا الاجتهاد والمبالغة، وهما مما يستفادان من معنىٰ الصيغة (افتعل).

---

(١) وعبارتي ربما يفهم منها أن قراءة التخفيف هي الأسبق أو الأصل، وهذا رأيٌّ لبعض المفسرين، قال ابنُ أبي زمنين: "والتشديدُ مأخوذٌ من التخفيف، (تَدْعون) تفْعَلون، و (تدَّعون) تفتعلون مُشْتَقَّة منه". تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٥/ ١٦.

(٢) ينظر: البحر المحيط ١٠/ ٢٢٩.

٥ – ربّما كان في الكفار من يكذّب النبي ﷺ حقيقة، وفيهم من يعتقد صدقه، ولكنه كان يكذّبه ظاهريـًا فقط؛ تكُبراً منه أن يتَّبِعه، وفيهم من كانوا يَدْعون بنزول العذاب حقيقة، ومنهم من كان يدعو بذلك ظاهريـًا فقط؛ موافقةً للقوم، لكنه في حقيقة نفسه يخشىٰ هذا العذاب؛ لكونه يعتقد صدق النبي ﷺ، وقد ضُمِّنَ الفعل "تدّعون" هنا معنىٰ "تكَذّبون"[١]، فجاءت القراءتان بالتشديد والتخفيف تصوِّران حال الفريقين، من كان يكذِّب ظاهريـًا فقط، ومن كان يكذِّب ظاهريـًا وباطنيـًا؛ لأن (افتعل) تأتي بمعنىٰ (تفاعَلَ)، ومن معاني (تفاعلَ): التظاهر بالفعل دون حقيقته، أي أن منهم من كان يتظاهر بهذا الدعاء، ومنهم من كان يدعو به حقيقة، فكلُّ قراءة من القراءتين تمثِّل فريقـًا من الفريقين وتشير إليه.

٦ – قراءةُ التخفيف تشير إلىٰ أن منهم من كان يطلب نزول العذاب جملةً ودفعة واحدةً، وعلىٰ جميع القوم، مبالغة وكناية عن الإنكار والاستهزاء، والتهكّم والعناد[٢]، أما قراءة التشديد ففيها إشارة إلىٰ أن منهم من كان يطلب نزول العذاب بشكل تدريجيّ وليس دفعة واحدة، وهذا ما يشير إليه قول الأخفش: "...فقيل لهم حين رأوا العذاب "هذا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدْعُونَ" خفيفة، و" تَدَّعُونَ" ثقيلة قرأه الناس علىٰ هذا المعنىٰ، وهو أجود وبه نقرأ؛ لأنه شيء بعد شيء"[٣]، ومما يؤكد ذلك أن (افتعلَ) تأتي

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٩/ ٥٠ .

(٢) روح المعاني ١٥/ ٢٣، التحرير والتنوير ٢٩/ ٥١.

(٣) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥٤٦. وينظر أيضـًا: الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٢١، فتح القدير ٥/ ٣١٦.

بمعنىٰ (تفاعلَ)، وكذا بمعنىٰ (تفعّل)، وكلاهما من معانيه: التدرُّج، أو حصول الشيء تدريجيًا(١).

٧ – قراءةُ التشديد أفادت أن أمر الدُّعاء بنزول العذاب كان شائعًا بينهم، فاشيًا منهم، بخلاف قراءة التخفيف، والمعنىٰ حينئذ علىٰ قراءة العامة بالتشديد: «تَتَدَاعَوْن بوقوعه، أي: كانت الدَّعْوىٰ بوقوعه فاشيةً منكم، كقوله في معنىٰ العموم: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات:١١]، أي: لا يَفْشُ هذا فيكم، وليس معنىٰ ﴿تَدَّعُونَ﴾ هنا من ادِّعاء الحقوق أو المعاملات، إنما ﴿تَدَّعُونَ﴾ بمعنىٰ: تتداعون من الدعاء لا من الدَّعْوىٰ»(٢).

٨ – القراءتان بالتشديد ﴿تَدَّعُونَ﴾ والتخفيف ﴿تَدْعُونَ﴾ أفادتا أن الكفار لمّا أنكروا العذاب وزعموا عدم وقوعه تعجّلوه بالدعاء والتمني؛ زيادة في الإنكار والجحود(٣).

والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: الممتع الكبير: ١٢٥، ١٢٦، ١٣١، ارتشاف الضرب ١/ ١٧٥، شرح التسهيل ٣/ ٤٥٦، همع الهوامع ٣/ ٣٠٦، شذا العرف: ٣٣، ٣٤.

(٢) المحتسب ٢/ ٣٢٥.

(٣) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر ١٣/ ٧٣.

الخاتمة (أسألُ اللهَ حُسْنَها)

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلام علىٰ سيدنا رسول الله ﷺ، وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ،،،

فبَعْدَ هذه الجولة المباركة في توجيه ومعاني القراءات المتواترة التي جاءت علىٰ صيغة افتعل، ومحاولة تلمُّس وإدراك العلاقات والفروق بينها فقد تبيّن لنا كثرة هذه العلاقات وتلك الفروق، وأن عدداً كبيراً منها قد صرّح به، أو أشار إليه وألْمحَ إليه اللغويون أو المفسرون، كما أن عدداً منها كان من فتْحِ الله عليّ، وقد تمخّضَ هذا البحث عن عدد من النتائج، أُجْمِلُها فيما يأتي:

١ - جلاءُ الإعجاز في القراءات القرآنية التي تقوم اللفظة فيها مقام الآية الكاملة بل والآيات المتعددة.

٢ - القراءات القرآنيةُ ثريّة جداً بالمعاني، ولا سِيَّما الصيغ الصرفية منها.

٣ - السياق العام الذي وردت فيه اللفظة القِرائية له دور مهم جداً في إبراز الفروق اللغوية والدلالية بين القراءات.

٤ - بعض القراءات تتجسّد فيها الدلالة علىٰ معنىٰ معين مقصود من خلال حركة بعض حروفها[١]؛ إضافة إلىٰ كون تلك الحركات إشارات إلىٰ لغات ولهجات.

---

(١)مثل "يهدّي"، "يخصّمون" ونحوهما.

٥ – التأكيد علىٰ وجود دلالة في كل قراءة[١] علىٰ حَده، وفي جميع المستويات الأربعة المشهورة، وخاصة المستوىٰ الصرفيّ، ولا عبرة بقول من ينفي ذلك.

٦ – الربط بين معاني الصيغ الصرفية التي ذكرها اللغويون، ومعاني وتوجيه الألفاظ القِرائية التي اختلف فيها القراء له أهميته الكبرىٰ، وينتج عنه الكثير من المعاني والارتباطات بين القراءات، ويتجلّىٰ به مظهر من مظاهر الإعجاز في تلك القراءات.

٧ – هذه المحاولة – وإن كانت محاولة العاجز المقصِّر– قد تكون بداية لمحالات جادة أخرىٰ لدراسة هذا الجانب من القراءات، وآمُل أن ينفتح الباب علىٰ مصراعيه لدراسات أخرىٰ علىٰ منوالها.

(١) قد تكون هذه الدلالة "لهجية" تشير إلىٰ لهجة معينة، وقد تكون "نحوية" تشير إلىٰ قاعدة معينة وتؤصِّلُ لها، وقد تكون غير ذلك، والقراءاتُ في كل الأحوال تحمل بين طيّاتها معنىٰ معيّنًا مقصوداً.

كشاف المصادر

١- إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، لأبي شامة: عبد الرحمن بن إسماعيل، تحقيق: إبراهيم عطوة، مكتبة مصطفىٰ البابي الحلبي – القاهرة، بدون تاريخ.

٢- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للبنا الدمياطي: أحمد بن محمد، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الثانية، ٢٠٠٦م.

٣- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة سنة: ١٩٧٤م.

٤- أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية: تاج العروس نموذجًا، د. عبد الرازق حمودة، رسالة دكتوراه بقسم اللغة العربية- كلية الآداب، جامعة حلوان، نوقشت عام ٢٠١٠م.

٥- الأحرف السبعة للقرآن، للداني: عثمان بن سعيد، تحقيق: د. عبد المهيمن طحان، مكتبة المنارة - مكة المكرمة، ط: الأولىٰ، ١٤٠٨هـ.

٦- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد البُستي، تحقيق وتعليق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط: الأولىٰ، ١٩٨٨م.

٧- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان: محمد بن يوسف، تحقيق: رجب عثمان، مراجعة: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط: الأولىٰ، ١٩٩٨م.

٨- إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود: محمد بن محمد بن مصطفىٰ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.

٩- أساس البلاغة، للزمخشري: محمود بن عمر، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط: الأولىٰ، ١٩٩٨م.

١٠- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية، د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية – بيروت، ٢٠٠٨م.

١١- إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه الأصبهاني: محمد بن أحمد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الأولىٰ، ٢٠٠٦م.
١٢- إعراب القراءات الشواذ ، للعُكبري: عبد الله بن الحسين، تحقيق: محمد السيد عزوز، عالم الكتب – بيروت ، ط: الأولىٰ ١٤١٧هـ.
١٣- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، للعُكبري: عبد الله بن الحسين، تحقيق: إبراهيم عطوة، المكتبة العلمية- لاهور، باكستان.
١٤- الانتصار للقرآن، للباقلاني: محمد بن الطيب، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار الفتح - عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت، ط: الأولىٰ، ٢٠٠١م.
١٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: عبد الله بن عمر، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولىٰ، ١٤١٨هـ.
١٦- بحر العلوم، لأبي الليث السمرقندي نصر بن محمد، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت، بدون تاريخ.
١٧- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان: محمد بن يوسف، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر – بيروت، طبعة سنة: ١٤٢٠ هـ.
١٨- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة: أحمد بن محمد، تحقيق: أحمد القرشي رسلان، الناشر: د. حسن عباس، القاهرة، ط: ١٤١٩ هـ.
١٩- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي: محمد بن يعقوب، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
٢٠- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولىٰ،١٤١٤ هـ.
٢١- تاريخ الرسل والملوك، للطبري: محمد بن جرير، دار التراث–بيروت، ط:الثانية، ١٣٨٧هـ.
٢٢- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة: عبد الله بن مسلم، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٢٣- تأويلات أهل السنة، للماتريدي: محمد بن محمد، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولىٰ، ٢٠٠٥ م.
٢٤- التبيان في إعراب القرآن، للعكبري: عبد الله بن الحسين، تحقيق: علي البجاوي، مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي- القاهرة، بدون تاريخ.
٢٥- التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر- تونس، سنة النشر:١٩٨٤هـ.
٢٦- التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جُزَيّ: محمد بن أحمد، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم - بيروت، ط: الأولىٰ - ١٤١٦ هـ.
٢٧- التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي - القاهرة، بدون تاريخ.
٢٨- تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر، لعدد من الباحثين، (مجموعة رسائل ماجستير في قسم التفسير وعلوم القرآن، بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية - بفلسطين)، منشورات الجامعة الإسلامية ورابطة علماء المسلمين.
٢٩- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري: محمد بن أحمد، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الأولىٰ، ٢٠٠١م.
٣٠- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، د. أحمد سعد محمد، مكتبة الآداب- القاهرة، ط: الرابعة، ٢٠٠٩م.
٣١- الجامع لقراءات الأئمة العشرة بعللها ووجوهها، لـ: نصر بن عبد العزيز الفارسي، تحقيق: خالد أبو الجود، مكتبة أولاد الشيخ- القاهرة، ط: الأولىٰ، ٢٠١٧م.
٣٢- حاشية الشِّهاب علىٰ تفسير البيضاوي= عنايةُ القاضي وكفايةُ الراضي علىٰ تفسير البيضاوي، للشهاب الخفاجي: أحمد بن محمد، دار صادر - بيروت، بدون تاريخ.
٣٣- حجة القراءات، لابن زنجلة: عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط: الخامسة، ٢٠٠١م.

٣٤- الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه: الحسين بن أحمد، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت، ط: الرابعة، ١٤٠١ هـ
٣٥- الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسيّ: الحسن بن أحمد، تحقيق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، دار المأمون- دمشق / بيروت، ط: الثانية، ١٩٩٣م.
٣٦- حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لمحمد الأمين الهرريّ، دار طوق النجاة، بيروت، ط: الأولىٰ، ٢٠٠١ م.
٣٧- الحيوان، للجاحظ: عمرو بن بحر، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل- بيروت، طبعة سنة: ١٩٩٦م.
٣٨- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: الرابعة- بدون تاريخ.
٣٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله، دار إحياء التراث العربي- بيروت، بدون تاريخ.
٤٠- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الأولىٰ - ١٤٢٢ هـ.
٤١- زهرة التفاسير، لأبي زهرة: محمد بن أحمد بن مصطفىٰ، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.
٤٢- شذا العرف في فن الصرف، للحملاوي: أحمد بن محمد ، تحقيق: نصرالله عبد الرحمن، مكتبة الرشد- الرياض، بدون تاريخ.
٤٣- شرح المفصّل، لابن يعيش: يعيش بن علي بن يعيش، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولىٰ، ٢٠٠١ م.
٤٤- شرح الهداية، للمهدوي: أحمد بن عمار، تحقيق: د. حازم حيدر، مكتبة الرشد- الرياض، ١٤١٥هـ.
٤٥- شرح تسهيل الفوائد، لابن مالك: محمد بن عبد الله، تحقيق: عبد الرحمن السيد، محمد المختون، دار هجر- القاهرة، ط: الأولىٰ، ١٩٩٠م.

٤٦- شرح شافية ابن الحاجب، للاستراباذي: حسن بن محمد ت: ٧١٥هـ، تحقيق: د.عبد المقصود محمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط: الأولىٰ، ٢٠٠٤م.
٤٧- شرح شافية ابن الحاجب، للرضي الإستراباذي: محمد بن الحسن، ت: ٦٨٦هـ، تحقيق: محمد محيىٰ الدين عبد الحميد وآخرون، دار الكتب العلمية –بيروت، عام النشر: ١٩٧٥م.
٤٨- شرح صحيح البخاري، لابن بطال: علي بن خلف، تحقيق: ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد- الرياض، ط: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٤٩- شرح كتاب سيبويه، للسيرافي: الحسن بن عبد الله، تحقيق: أحمد حسن، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولىٰ، ٢٠٠٨ م.
٥٠- شعب الإيمان، للبيهقي: أحمد بن الحسين، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد، مكتبة الرشد - الرياض بالتعاون مع الدار السلفية - بومباي، الهند، ط: الأولىٰ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٥١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري: إسماعيل بن حماد، تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين – بيروت، ط: الرابعة، ١٩٨٧م.
٥٢- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.
٥٣- غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار، لأبي العلاء الهمذاني: الحسن بن أحمد، تحقيق: د. أشرف فؤاد طلعت، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، ط: الأولىٰ، ١٩٩٤م.
٥٤- غرائب التفسير وعجائب التأويل، للكرماني: محمود بن حمزة، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.
٥٥- غريب الحديث، لأبي عُبيد القاسم بن سلام، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، ط: الأولىٰ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.

٥٦- قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر، لقاسم الدجوي، ومحمد الصادق قمحاوي، طبعة قطاع المعاهد الأزهرية، ١٩٩٢م.
٥٧- الكتاب الجامع لقراءات الأئمة العشرة بعللها ووجوهها وزيادة عليها، للفارسي: نصر بن عبد العزيز الشيرازي، تحقيق: خالد أبو الجود، مكتبة أولاد الشيخ- القاهرة، ط: الأولىٰ، ٢٠١٧م.
٥٨- الكتاب، لسيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الثالثة، ١٩٨٨م.
٥٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: محمود بن عمر، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٧هـ.
٦٠- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث – القاهرة، طبعة سنة: ٢٠٠٧م .
٦١- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي: أحمد بن إبراهيم، تحقيق: عدد من الباحثين، بإشراف: د. صلاح باعثمان، وآخرين، الناشر: دار التفسير، جدة، ط: الأولىٰ، ٢٠١٥م.
٦٢- الكناش في فني النحو والصرف، لعماد الدين إسماعيل بن علي، تحقيق: رياض حسن الخوام، المكتبة العصرية، بيروت، طبعة سنة: ٢٠٠٠م.
٦٣- كنز المعاني في شرح حرز الأماني، للجعبري: إبراهيم بن عمر، تحقيق: فرغلي عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ- الجيزة- مصر، ط: الأولىٰ، بدون تاريخ.
٦٤- اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة، للفاسي: محمد بن الحسن، تحقيق: عبد الله عبد المجيد نمنكاني، رسالة ماجستير بجامعة أم القرىٰ- ١٤٢٠هـ.
٦٥- لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن: علي بن محمد، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولىٰ، ١٤١٥ هـ.
٦٦- لسان العرب، لابن منظور: محمد بن مكرم، دار صادر – بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٤هـ.

٦٧- لطائف الإشارات لفنون القراءات، للقسطلاني: أحمد بن محمد، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد- المدينة المنورة، ١٤٣٤هـ.
٦٨- مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين- بيروت، ط: الرابعة والعشرون، ٢٠٠٠م.
٦٩- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة- القاهرة، ط:الحادية عشرة، ٢٠٠٠م
٧٠- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير: نصر الله بن محمد بن محمد، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ.
٧١- مجاز القرآن، لأبي عبيدة البصري: معمر بن المثنىٰ، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي – القاهرة، طبعة سنة: ١٣٨١هـ.
٧٢- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف، د.عبد الفتاح شلبي، طبعة المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية بمصر، سنة: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٧٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: عبد الحق بن غالب، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي،دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.
٧٤- المحكم والمحيط الأعظم، لابن سِيده أبي الحسن علي بن إسماعيل، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٧٥- مختار الصحاح، للرازي: محمد بن أبي بكر، تحقيق: يوسف الشيخ، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط: الخامسة، ١٩٩٩م.
٧٦- المخصص، لابن سِيده: أبي الحسن علي بن إسماعيل، تحقيق: خليل جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٧٧- المرشد الوجيز إلىٰ علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة: عبد الرحمن بن إسماعيل، تحقيق: طيار آلتي قولاج، دار صادر – بيروت، ١٩٧٥م.
٧٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط:الأولىٰ، ١٤٢١هـ.
٧٩- مصنف ابن أبي شيبة= الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، تحقيق:كمال الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط: الأولىٰ، ١٤٠٩.
٨٠- معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي: الحسين بن مسعود، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ.
٨١- معاني الأحرف السبعة، لأبي الفضل الرازي: عبد الرحمن بن أحمد، تحقيق: د. حسن ضياء الدين عتر، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- قطر، ط: الأولىٰ، ٢٠١١م.
٨٢- معاني القراءات، لأبي منصور الأزهري: محمد بن أحمد، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود، ط: الأولىٰ، ١٩٩١م.
٨٣- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د. محمد حسن جبل، مكتبة الآداب – القاهرة، ط: الأولىٰ، ٢٠١٠ م.
٨٤- المغني في توجيه القراءات العشر، د. محمد سالم محيسن، دار الجيل بيروت، ومكتبة الكليات الأزهرية القاهرة - ط: الثانية ، ١٤٠٨هـ.
٨٥- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، للفخر الرازي: محمد بن عمر، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة، ١٤٢٠هـ.
٨٦- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط: الأولىٰ - ١٤١٢هـ.
٨٧- مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، طبعة سنة: ١٩٧٩م.
٨٨- الممتع الكبير في التصريف، لابن عصفور: علي بن مؤمن، مكتبة لبنان، ط:الأولىٰ، ١٩٩٦.

٨٩- المنصف لابن جني، شرح كتاب التصريف، لأبي عثمان المازني، دار إحياء التراث القديم- بيروت، ط: الأولىٰ، ١٩٥٤م.
٩٠- الموضح في وجوه القراءات وعللها، لابن أبي مريم: نصر بن علي، تحقيق: د. عمر حمدان، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم – جدة، ط: الأولىٰ، ١٩٩٣م.
٩١- نزهة الطرف شرح بناء الأفعال في علم الصرف، د. صادق محمد البيضاني.
٩٢- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري: محمد بن محمد بن أحمد، تقديم: الشيخ علي الضباع، المطبعة التجارية الكبرىٰ، بدون تاريخ.
٩٣- نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: إبراهيم بن عمر، دار الكتاب الإسلامي،القاهرة.
٩٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: المبارك بن محمد، تحقيق: طاهر الزاوي، محمود الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، طبعة سنة: ١٩٧٩م.
٩٥- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر، بدون تاريخ.

كشاف الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
	ملخص البحث	٦٢
١	**المقدمة**	٦٧
٢	**التمهيد**	٧٤
٣	**الفصل الأول:** «أسرار التبادل بين صيغتيْ فَعِلَ وافْتَعَلَ في القراءات المتواترة»	٨٨
٤	**المبحث الأول:** التبادل الصِّيغي بين قراءتيْ: «لا يَتَّبعوكم – لا يَتْبعوكم»، و«يَتَّبعُهمُ الغاوون- يَتْبعُهمُ الغاوون».	٨٨
٥	**المبحث الثاني:**التبادل الصِّيغي بين قراءتيْ «لاتّخذتَ- لَتَخِذتَ»	١٠٢
٦	**المبحث الثالث:**التبادل الصِّيغي بين قراءتيْ: «فتخْطَفُه- فتخَطَّفُه»	١١٨
٧	**الفصل الثاني: «أسرار التبادل بين صيغتيْ فَعَلَ وافْتَعَلَ في القراءات المتواترة»**، وفيه أربعة مباحث:	١٢٧
٨	**المبحث الأول:** التبادل الصِّيغي بين قراءتيْ: «تعْدُوا– تعدُّوا»	١٢٧
٩	**المبحث الثاني:**التبادل الصِّيغي بين قراءات:«أمّن لا يَهِدِّي»	١٣٧
١٠	**المبحث الثالث:** التبادل الصِّيغي بين قراءتيْ: «يَخِصِّمون- يَخْصِمون»	١٥٠
١١	**المبحث الرابع:** التبادل الصِّيغي بين قراءتيْ «تَدَّعون- تَدْعون»	١٥٩
١٢	**الخاتمة**	١٦٧
١٣	**كشاف المصادر**	١٦٩
١٤	**كشاف الموضوعات**	١٧٨